المختار الإسلامى

مجلة كل المسلمين

الملا عمر للفلسطينيين : الأمريكيون واليهود جيش واحد والحرب تستهدف الإسلام

حوار الشهر مع خالد مشعل

الإسلام المعدل آخر صيحة أمريكية

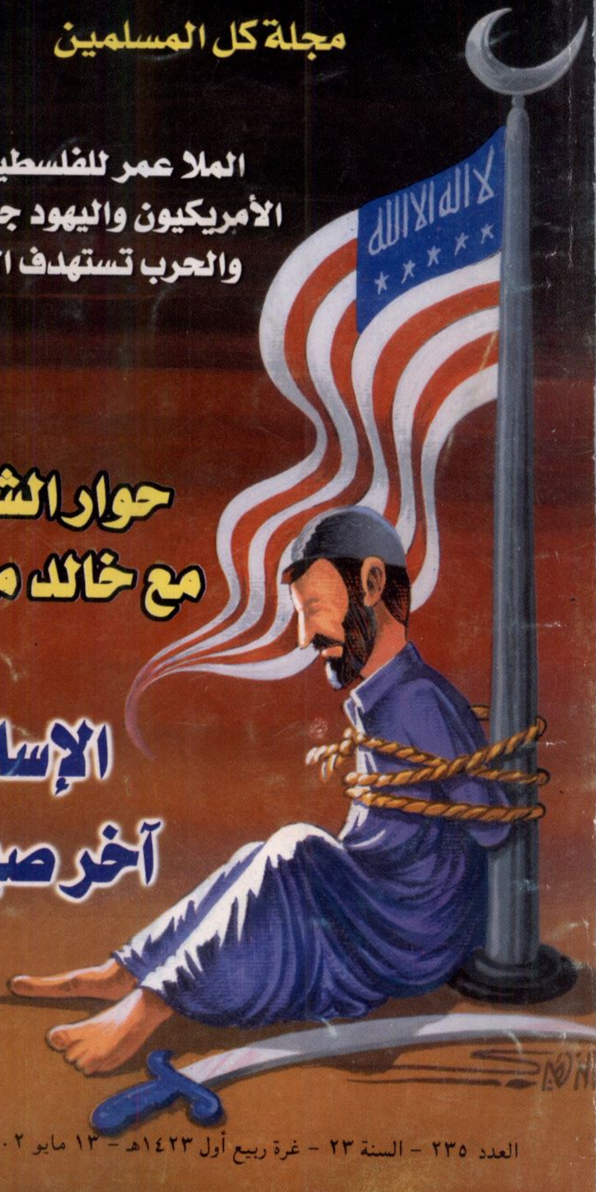

العدد ٢٣٥ - السنة ٢٣ - غرة ربيع أول ١٤٢٣هـ - ١٣ مايو ٢٠٠٢م - الثمن ثلاثة جنيهات

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المحرر محور الشر.... !!

محور الشر الذى تكلم عنه جورج بوش الابن ، والذى يضم حسب وجهة نظر الرئيس بوش شخصيا رئيس أقوى دولة فى العالم ، بل المنفردة بالهيمنة والنفوذ ، الذى يضم كلاً من إيران والعراق وكوريا الشمالية - وربما كوريا الشمالية ذرا للرماد فى العيون ، يعنى أن السيد بوش قرر تحطيم كل عناصر القوة الموجودة والمحتملة فى العالم الإسلامى ، ويعنى أن أمامنا ليلا طويلا من المعاناة ، لن نخرج منه إلا بالوحدة والتعاون ومعرفة حقائق الدنيا ، وبالإضافة إلى جورج بوش الرئيس ، هناك رجال دين مسيحيون أمريكيون وصفوا الإسلام مباشرة بأنه إمبراطورية الشر ، وهكذا فلا داع لخداع النفس ، يجب مواجهة الحقيقة .. وصحيح أن كلام الرئيس بوش هو من نوع المغالطات الكبرى ، فالصحيح أن الأشرار وفقا لممارساتهم هم جورج بوش ورامسفيلد ، شارون وموفاز ، وآخرين من معسكرهم .. هل نتحرك قبل فوات الآوان ؟.. هل نتجرع السم بأيدينا بقبول الأجندة الأمريكية فنخسر الدنيا والآخرة ؟.. أم نحاول ونقاوم فربما ننتصر ؟.. وحتى لو انهزمنا ، فإن الهزيمة مع الاستشهاد تضمن لنا الآخرة ، وخسائر الهزيمة أقل من خسائر الاستسلام دنيويا أيضا ، وفى كل الحالات فإن خيار الاستسلام وتجرع السم بإرادتنا هو انتحار كامل ونهاية مؤسفة للدنيا والآخرة .. فهل نتعظ ؟!..

المختار الإسلامى

المختار الإسلامى
مجلة كل المسلمين
أسسها حسين عاشور
(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩)
تصدر غرة
كل شهر عربى
رقم الإيداع ٦٠٧٠ / ١٩٧٩
المشرف العام
حسين عاشور
رئيس التحرير
د . محمد مورو
الإشراف الفنى
على عبيد
المراسلات :
القاهرة ص ب ١٧٠٧
الرمز البريدى ١١٥١١
تليفون ٠١٠ ٥٨٥٢٧٦٢
فاكس ٤٩٠٩٥٤١
الاشتراك السنوى :
داخل مصر ٥٠ جنيها
خارج مصر ٥٠ دولارا أمريكيا
المراسلات والحوالات والشيكات
باسم
حسين أحمد عيسى عاشور
بريد إليكترونى
mokh51@hotmail.com

بدايات الانتصار

إنها بدايات الانتصار ، إمساك الطريق الصحيح ، وثبوت أنه لا طريق غيره ، لقد حاول شارون ، ولأكثر من عام أن يقضى على الانتفاضة ويقطع الطريق على المقاومة والاستشهاد ، ولكن هيهات ، استخدم شارون كل الوسائل وفشل ، تحطيم العظام واجتياح المناطق ، القتل والتدمير ، ولكنه سقط فى عنكبوت المقاومة ، وشارون الأكثر دموية فى التاريخ الصهيونى قد فشل بكل أسنانه وأنيابه وأسلحته ومكره ، وبالتالى فليس هناك إلا المزيد من الفشل لشارون وغيره .

إنها إرادة الله تعالى التى جعلت الإنسان أقوى من التكنولوجيا ، ثم إرادة المجاهدين الفلسطينيين الذين وفقهم الله لمعرفة الطريق الصحيح ، فاكتشفوا الطريق إلى صناعة ما يفجر الدبابة الميركافا تلك البروج المشيدة وبالتالى جعلوا من الصعب على الجيش الإسرائيلى ممارسة القتل بلا ثمن واقتحام المناطق بلا خسائر ، وكذلك نجحت المقاومة فى تطوير صاروخ القسام ٢ ، وهددت أمن المستعمرات ، بل والداخل الإسرائيلى ، وهكذا فإن المقاومة أصبحت قادرة على تهديد الكيان الصهيونى فى كل بقعة من بقاع فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ أو عام ١٩٦٧ ، بل إن المقاومة نجحت فى الهجوم على نقاط التفتيش وقتلت الجنود الإسرائيليين ، واستطاعت أيضا أن تصل إلى عمق المستعمرات الصهيونية وتنزل القتل والدمار ، وهذا معناه أن الطريق قد أصبح واضحا ، ولا حل هناك أمام الإسرائيليين إلا العيش تحت تهديد صواريخ المقاومة ، ورجالها وعملياتها الاستشهادية لن تحميهم دروع الميركافا ، ولا كل الحراسات والتحصينات وهو درس بليغ لكل من يريد أن يعرف الطريق ، طريق الجهاد والمقاومة

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ .. صدق الله العظيم

رئيس التحرير

خواطر مسلم

مستقبل الصراع بعد عملية الاجتياح

على وهج النار الذى اندلع فى مدن ومخيمات الضفة الغربية بدءاً من يوم ٢٩ مارس الماضى ، وفوق أكوام الحطام الذى تناثر أو تراكم بسبب قصف الطائرات الأباتشى أو اف ١٦ للبيوت الآمنة والمساجد والكنائس ، أو المتخلفة من قبل الجرافات التى جرفت الكثير من الأكاذيب مع ما جرفته من أبنية .

على أصوات جنازير الدبابات الميركافا وطلقات المدافع والدبابات والانفجارات ، وعلى رائحة الجثث التى لم تسمح إسرائيل بدفنها ، وأنين الجرحى الذين منعت عنهم القوات الإسرائيلية العلاج أو الإسعاف ، على أضواء الشموع التى أنارت الغرف المظلمة بعد أن تم قطع الكهرباء والمياه عن المحاصرين من رجال السلطة ، أو جنود الأمن الوقائى ، أو الأسر العادية فى رام الله ، وقليقلة ، وجنين ونابلس وطولكرم وبيت لحم ، على الأحلام والآمال التى انعقدت على إرادة المجاهدين والصامدين فى المخيمات والذين ضربوا نموذجا فذا فى جنين ونابلس ، على وهج النار وفوق تلال الخراب والدمار ورائحة الموت وعلى داء الأمل فى الغد .

احترقت أكاذيب وظهرت حقائق ، ورغم كل الألم والمعاناة والآثار السلبية المباشرة على الفلسطينيين من هذا الاجتياح المجرم ، فإن المحصلة الاستراتيجية كانت لصالحنا إن شاء الله ، وهذا يتوقف بالطبع على التمسك بتفاؤل التاريخ والمستقبل رغم يأس المرحلة ، التمسك بداء الأمل رغم اليأس ، التمسك

بقلم: د. محمد مورو

بخيار المقاومة رغم إغراء المفاوضات !!..

احتراق الأكاذيب ، وظهور الحقائق جلية ، كاشفة مكشوفة واضحة لا لبس فيها ، كالمحاجة البيضاء نهارها كليلها كان أول المكاسب الاستراتيجية ، ذلك أن احتراق الأكاذيب ومعرفة الحقائق هو أول الطريق إلى النصر ، فالأمة التي تعرف حقائق ما يدور لها وحولها تعرف الطريق الصحيح لمواجهة التحدي ، وبدون هذه المعرفة اللازمة بالضرورة لا نستطيع تحديد الأهداف ولا الوسائل .

على وهج النار ، وعلى أصوات المدافع وأزيز الطائرات والمدافع اكتشفنا أننا نواجه عدوانا أمريكيا يقوم به الجيش الإسرائيلي لحساب الولايات المتحدة الأمريكية ، فالعملية قد تم الاتفاق عليها شكلا ومضمونا بين الإدارة الأمريكية وحكومة السفاح شارون .. إنها المرحلة الثانية فيما تسميه أمريكا الحرب ضد الإرهاب ، والتي أعلنتها على العالم عموما والعالم الإسلامي خصوصا منذ ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ولم تتوقف ، ولن تتوقف إلى وقت بعيد ، وهكذا فإن تصريحات الرئيس الأمريكي وكذا كل مسئولي حكومته المتكررة والمتنوعة تدور في حق إسرائيل في القضاء على الإرهاب وتحقيق أمنها بذبح كل من يحمل بذرة المقاومة ، وأن على الرئيس عرفات أن يقوم بمزيد من الجهد للقضاء على جماعات الإرهاب وإلا فإنه مقصر على حد تعبير الرئيس الأمريكي ، أو داعم للإرهاب وعدو إسرائيل والعالم الحر كله على حد تعبير شارون وبالتالي يستحق الحصار أو الإبعاد أو حتى القتل إذا كانت الظروف مواتية واقتضت الحاجة ذلك .

وفي الحقيقة فإن كل التحركات الأمريكية تؤكد هذا المعنى قبل الاجتياح وبعد الاجتياح على حد سواء ، فتفاهمات تينيت وتقرير ميتشل وجولات زيني وتشيني ثم كولين باول بل وقرارات مجلس الأمن رقم ١٣٩٧ في ٢٠٠٢/٣/١٢ ، والقرار ١٤٠٢ في ٢٠٠٢/٣/٣٠ والقرار ١٤٠٣ في ٢٠٠٢/٤/٥ ، وكذا القرارات التي منعتها أمريكا باستخدام الفيتو ، والطلبات المعلنة من أمريكا للعرب كلها تدور حول انسحاب إسرائيل غير محدد المعالم ، دولة فلسطينية على مساحة غير محددة حسب المزاج

خواطر مسلم

الإسرائيلى الأمريكى طبعا ، ولكن بصورة محددة وقاطعة العمل على تحقيق الأمن الإسرائيلى ، القضاء على جماعات المقاومة "الإرهاب" ضرب البنية التحتية التى تسمح بظهور تلك المقاومة إعلان العرب والفلسطينيين إدانة العمليات الاستشهادية التى هى سلاحنا الرئيسى حتى الآن ، وهكذا فالمسألة أمريكية أصلا ، وإسرائيلية فرعا ، وهذه الحقيقة أحرقت أكاذيب الاعتماد على الوساطة الأمريكية أو الأوروبية ، أو مناشدة الضمير الغربى والأمريكى ، أو سعى الحكومات الصديقة لأمريكا لدى بوش ليفعل شيئا !!.. أو ممارسة الضغط على الرئيس عرفات من قبل الحكومات العربية للقبول بالمهمة القذرة "أى تصفية رجال المقاومة وبنيتها التحتية" ، وحتى عندما اضطرت أمريكا لأن تطلب من إسرائيل الانسحاب بدون تأخير ، أو فورا فإنها كانت تمارس نوعا من الخداع البسيط المفضوح ، فإسرائيل تعرف أن الطلب الأمريكى غير جاد ، وأنه يمكن الالتفاف عليه أمام العالم بالخروج من بعض المدن التى انتهت مهمة الجيش الإسرائيلى فيها مثل قليقلة وطولكرم .

وبدهى أن القوات الإسرائيلية لن تبقى فى المدن والمخيمات إلى الأبد لأنها تعرف أن ذلك مستحيل عسكريا وأمنيا ويكلفها خسائر لا طاقة لها بها .

اكتشفنا على وهج النار أن أمريكا هى العدو والذراع ، وإسرائيل هى القفاز .. وهى حقيقة قديمة معروفة ، ولكن البعض كان لايزال يجادل فيها ، ولم يعد الآن قادرا على الجدال إذا امتلك الحد الأدنى من المنطق أو العقل ، فإسرائيل مفرزة غربية ثم أمريكية متقدمة ، أو حاملة طائرات أمريكية ضخمة ، أو جماعة وظيفية تقوم بمهمتها لصالح الاستعمار الأوروبى ثم لأمريكى .

واكتشفنا أن المعركة فى فلسطين هى معركة العالم الحر بالمعنى الصحيح لكلمة الحرية ، عالم المستضعفين ضد الاستكبار ، فإذا تم القضاء على المقاومة واستكان الشعب الفلسطينى كان معنى ذلك نجاح المرحلة الثانية من الخطة الأمريكية فى الهيمنة على العالم ، وعلينا انتظار المرحلة الثالثة فى العراق أو فى إيران أو سوريا أو حتى مصر ، وأن فشل الجيش الصهيونى فى تحقيق أهدافه فإن ذلك يعنى سقوط جزء من جدار الاستكبار لأن استمرار المقاومة والاستشهاد ضد الإسرائيليين يعنى إمكانية تفكيك تلك الغدة السرطانية الاستعمارية المسماة إسرائيل وإثبات عدم جدوى الصهيونية بالنسبة لليهود فيتراجع التأييد لها بينهم ، ويعطى الشعوب الأمل فى إمكانية هزيمة الاستكبار الدولى .

وهكذا فإن الشعب الفلسطينى يخوض المعركة دفاعا عن العرب ، كل العرب ، والمسلمين ، كل المسلمين ، والمستضعفين ، كل

المستضعفين ، وهذا يفسر فى جانب منه تلك الغضبات الجماهيرية فى العالم العربى والإسلامى بل وفى العالم كله ، بل إن القوى المناهضة للعولمة أو أصحاب الضمير فى أوروبا وأمريكا أنفسهم تظاهروا ضد الاجتياح لأنهم فهموا طبيعة المعركة .

ولعل هذا يفتح أمامنا تفسير وفهم حقيقة موضوع التأييد الحكومى الأوروبى ، أو السكوت أو الموقف الباهت "ما عدا بعض مقاطعات بلچيكا" ، وكذلك الموقف الحكومى العربى المتردد مع وجود هبات شعبية هنا وهناك فالمعركة لها طرفان ، طرف يمثل الرأسمالية والعسكر وخدمهم من الإعلام والفن والفكر ، وطرف المستضعفين ومن يعبر عنهم فى كل مكان ، وإذا كنا نحكم على الظواهر فى مجراها الرئيسى ، فإن التحالف الرأسمالى العسكرى الأمريكى الأوروبى مع بعض ممثلى ووكلاء هؤلاء فى كل أنحاء العالم هم الذين يسيطرون على القرار السياسى فى بلدان كثيرة من العالم وخاصة الدول الكبرى .

وهكذا نفهم كون مجلس الأمن مجرد مغارة لصوص ليس إلا ، ونفهم لماذا لا تتخذ الدول الأوروبية موقفا حازما ضد إسرائيل ، ونفهم تردد الحكومات العربية الممثلة فى معظمها لتحالف الرأسمالية والعسكر أيضا ولو كوكلاء للاحتكارات العالمية ، ونفهم لماذا لم يتم استخدام سلاح البترول ولو بشكل رمزى اللهم إلا موقف العراق الذى أوقف النفط لمدة شهر وأيدته فى ذلك إيران وليبيا ، والعجيب أن إحدى الدول العربية البترولية الكبرى قالت معتذرة إنها لن تقطع البترول لحاجتها للأموال لكى تساعد الفلسطينيين .

على ضوء سيطرة الرأسمالية والعسكر وحلفائهم من المفكرين والإعلاميين يمكننا أن نفهم لماذا يقف الإعلام الأوروبى والأمريكى "CNN - صحيفة نيويورك تايمز نموذجين"هذا الموقف المتجاهل للدم الفلسطينى والتعاطف مع الدم الصهيونى المراق فى العمليات الاستشهادية !!.. ، وأن الذين خرجوا فى مظاهرات أو احتجوا على الممارسات الصهيونية من الأوروبيين والأمريكيين كانوا من حركات مناهضة العولمة ، أو الخضر أو جماعات السلام الرافضة أصلا للهيمنة الأمريكية على العالم .

من الحقائق التى ظهرت على وهج النار أيضا زيف مقولة الديموقراطية الإسرائيلية أو الديمقواطية الغربية عموما ، وإذا كانت إقامة إسرائيل فى حد ذاتها هى ضد فكرة الديموقراطية وتثبت زيف الديموقراطية الغربية التى دعمت قيام إسرائيل ، وكذا ممارسات ٥٤ سنة منذ ١٩٤٨ وقبلها عشرات السنوات ، فإن ما حدث أمام بصر وسمع العالم وعلى شاشات الفضائيات فى كل أنحاء العالم من قتل ومذابح وتدمير بيوت ، وحصار وتجويع ورفض دفن الموتى أو إنقاذ الجرحى والاعتداء على الصحفيين والمصورين والاعتداء على حرمة دور العبادة "المساجد والكنائس" وغيرها يثبت زيف مقولة الديموقراطية الإسرائيلية ،

خواطر مسلم

بل وزيف الديموقراطية الغربية والأمريكية المزعومة فهى ديموقراطية عنصرية لا تنسحب على العرب والمسلمين ، وعلى الذين يتحدثون عن القيم الأوروبية أو القيم الأمريكية أن يكفوا عن ذلك احتراما لعقولنا !!..

ومن الأكاذيب التى احترقت على وهج النار إمكانية قيام سلام مع الكيان الصهيونى ، فالحكومة التى اتخذت قرار الاجتياح هى حكومة وحدة وطنية إسرائيلية تضم الليكود والعمل ، وبالتالى فإن بيريز - الذى حصل على جائزة نوبل للسلام والتى أعربوا نحوها عن رغبتهم فى استردادها وندمهم على منحها له - وكذا بن اليعازر وموفاز هم أهم أركان تلك الحكومة "الخارجية والدفاع ورئاسة الأركان" وبالتالى فحزب العمل شارك فى المذبحة ، وكل قطاعات المجتمع الصهيونى أيدت العملية واستطلاعات الرأى تؤكد ذلك.

ومنتقدو شارون ينتقدونه من منظور يمينى وقلت شعبيته فى اتجاه صعود اليمين وليس لأنه سفاح مثلا ، بل لأنه لم ينجح فى ذبح المقاومة بما يكفى !!..

ودعاة السلام الإسرائيليون رغم هامشيتهم الشديدة ، ورغم أنهم يؤمنون بالصهيونية ويرون مصلحتها فى السلام لا يظهرون عادة مادام الجيش الإسرائيلى متفوقا أو يمارس مهامه العدوانية ، أما إذا ظهر تفوق عربى أو انتصار للمقاومة فإنهم يظهرون فى محاولة لتهدئة الأحوال ، والحديث عن دولة فلسطينية أصبح عديم الجدوى بعد تفكيك البنية التحتية والمرافق على يد الجيش الإسرائيلى والمتاح أمريكيا وإسرائيليا هو مجرد كانتونات أو معازل بلا قيادة ولا قوات شرطة قوية وطبعا بلا جيش ولا مؤسسات ، بل والاجتياح الإسرائيلى الأخير أثبت عبثية فكرة الدولة الفلسطينية لأنها دولة ستكون عرضة للاجتياح وقتل الناس وتدمير المرافق والأجهزة كلما أراد حكام إسرائيل ذلك ، فلا اتفاقات أوسلو منعت اجتياح ٣/٢٩ ولا حتى اعتقال مديرى حادث اغتيال زئيف شيفى !!..

ومن الحقائق أن بإمكان قوة صغيرة تلوذ بالإرادة والإيمان وبسلاح بسيط أن تصمد بما يكفى ، وأن تُحدث خسائر بالعدو ، وهذه هى تجربة جنين ونابلس ، وحتى لو انكسرت المقاومة مؤقتا ، فإن ذلك لا يعنى انكسارها لأن الجيش الإسرائيلى مثلا نجح فى اجتياح لبنان عام ١٩٨٢ ووصل إلى قلب بيروت ، وأخرج المقاومة الفلسطينية منها ، وأقام حكومة يمينية عميلة فى بيروت ، ودبر مذبحة صابرا وشاتيلا وأحدث خرابا شاملا ، ولكن هذا الخراب ومن خلال الأنقاض أبدع اللبنانيون مقاومة ظلت تتصاعد حتى انتصرت فى النهاية ودحرت الجيش الإسرائيلى عام ٢٠٠٠ أى بعد ١٨ سنة من اجتياح لبنان على يد شارون ذاته ، وهذا الأمر مرشح بالطبع للتكرار فمن خلال الخرائب ، ومن خلال المعاناة

وذكريات الحصار والجوع والعطش والموت ستخرج وتتصاعد مقاومة أشد عنفا وقوة فى نابلس وجنين ، وطولكرم وقلقيلية وبيت لحم ورام الله ، والخليل وغزة ، وسيكتشف الشعب العربى كيف يلتحم أكثر بالمقاومة ويدعمها الدعم الصحيح والمطلوب ، وسوف يتم دحر العدوان الصهيونى فى النهاية اليوم أو غدا أو بعد غد لأنه شعب رفع شعار المقاومة ، ويردد مع شعرائه توفيق زياد

بأسنانى بأسنانى سأحمى كل شبر من ثرى وطنى

ولن أرضى بديلا عنه لو عُلقت من شريانى
هنا على صدوركم باقون كالجدار
وفى حلوقكم كقطعة الزجاج كالصبار
وفى عيونكم زوبعة من نار

ومع سميح القاسم :

لن أساوم ، إلى آخر نبض فى عروقى سأقاوم

ومع محمود درويش :

سنطردهم من إناء الزهور وحبل الغسيل
سنطردهم عن حجارة هذا الطريق الطويل
سنطردهم من هواء الخليل

وإذا كان البعض يخشى من الدم المراق بسبب المقاومة ، فإن الدم الذى يُراق بسبب المساومة أو الاتفاق يكون أكثر عادة ، ولدينا تجربة صابرا وشاتيلا خير نموذج ، وكل المذابح جاءت عقب استسلام أو اتفاق !!..

وفى كل الأحوال فإن قدر أمتنا أن تدفع الدم فهى على موعد مع رحلة الدم الذى سيهزم السيف كما يقول الشهيد الفذ فتحى الشقاقى فأمتنا على موعد مع الدم ، دم بلون الأرض ، دم بلون التاريخ ، دم بلون الأفق ، دم بلون الدم .

والحديث عن المقاومة ، وعن خيار الاستشهاد كخيار استراتيجى يجب أن ندرك هنا أن حالة العجز العربى الحكومى ، وعدم قدرة الشعوب حتى الآن على الضغط على الحكومات لفعل شئ جدى لن يكون عائقا أمام مسيرة المقاومة وخيار الاستشهاد ، لأن حزب الله انتصر فى ظروف مشابهة وربما أصعب ، وآلة الحرب الإسرائيلية لن تقوى على الاستمرار فى المدن والمخيمات فهذا على المدى الطويل سيجعلها هدفا قريبا أمام العمليات الاستشهادية ، وإذا خرجت فإن المقاومة ستعيد بناء نفسها خاصة فى احتراق الأكاذيب وصور الحقائق ، وفى ظل غياب لأجهزة السلطة قد يكون ضارا فى جانب منه ولكنه مفيد فى جانب آخر ، وفى ظل حالة غضب عارم بسبب ما حدث وثأر وطلب انتقام مشروع ، وفى كل الأحوال فإن العجز العربى لن يضر المقاومة كثيرا ، خاصة إذا لم يمارس دوره فى تطويقها ، وهو غير قادر على ذلك حاليا ، لأنه لم يقدم ما يسمح له بالقيام بهذا الدور ، ووحده الرئيس ياسر عرفات الذى يستطيع ذلك ، ونرجو ألا يفعل ، وأن يظل رمزا لكل الشعب الفلسطينى ، خاصة أنه مهما فعل فلن تغفر له إسرائيل عمليات الجناح العسكرى لفتح ، ولن تغفر له أمريكا أيضا ، وبالتالى فالخيار أمامه هو الاستمرار

فى الخندق ، خندق الصمود والمواجهة ، والحقيقة أن المقاومة ستنجح إذا ظلت بمعزل عن الحكومات العربية ، فهذه الحكومات ولأسباب كثيرة مارست ولاتزال دورا كبيرا فى تهدئة المقاومة وتطويقها ، حدث ذلك إبان ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ حيث ناشد الزعماء العرب الأهالى الهدوء وانتظار جهود الصديقة بريطانيا ، وعندما انغرزت آلة الحرب العسكرية الإسرائيلية فى لبنان عام ١٩٨٢ كانت الجهود الحكومية العربية وراء نجاح مهمة المبعوث الأمريكى فيليب حبيب الذى حقق اتفاقا يقضى بخروج المقاومة من بيروت إلى تونس وبالتالى أنقذ الجيش الإسرائيلى مؤقتا من الغرق فى المستنقع اللبنانى ، وكذلك فإن تلك الحكومات حينما تدخلت بسبع جيوش لسبع دول فى ١٩٤٨ تسببت فى إقامة إسرائيل وخسران المعركة وبدء النكبة .

وفى عام ١٩٦٧ تدخلت ثلاث دول فكانت النتيجة ضياع الضفة وغزة وسيناء والجولان وسقوط القدس ، فنحن هنا لا نقول ولا نطالب بعدم تدخل الدول العربية ، بل أن يكون تدخلها لدعم خيار المقاومة وتأجيجها ، وليس لإخضاعها للسلام كخيار استراتيجى مزعوم ، خاصة أن تلك المقاومة حين تكون قادرة على إنزال الهزائم بالكيان الصهيونى ، فإنها تذود عن الأمن القومى العربى وخاصة لدول المواجهة ، لأن فراغ إسرائيل من المقاومة سيطلق يدها للاعتداء على تلك الدول ، لأن لها أهدافا إقليمية معروفة تشكل خطرا ماحقا على مصالح وربما وجود تلك الدول ذاتها ، وعلى كل الدول العربية سواء كانت من دول الطوق أو من غيرها .

فعل المقاومة الجميل والنبيل ، بركة الجهاد والاستشهاد أحدثت فى الشارع العربى صحوة كان يفتقدها ، وصحيح أن تلك الجماهير التى خرجت بالملايين فى المغرب والسودان واليمن وبمئات الألوف فى مصر وليبيا ولبنان والأردن وسوريا والعراق ، بل وفى البحرين والكويت والسعودية كانت تدافع عن كرامتها ودينها وعروبتها التى مرغت إسرائيل بها الوحل حين ردت على مبادرة السلام العربية "مبادرة الأمير عبد الله" والتى تبنتها قمة بيروت العربية ، وقبل أن يجف مداد المبادرة وبعد أقل من أربع وعشرين ساعة اجتاحت الدبابات الإسرائيلية مدن الضفة الغربية وحاصرت الرئيس عرفات ، وضعفت الحكومات العربية ضعفا أليما ، وصحيح أن تلك الصحوة هى أمر طبيعى لأن الموضوع الفلسطينى يمس وترا حساسا فى الضمير العربى والإسلامى ، ولكن مجرد خروج المارد الشعبى من القمقم هو أمر عظيم يُحسب للمقاومة الفلسطينية ، لأن هذا المارد الذى خرج سيكون لخروجه آثار إيجابية على كل مستوى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، إقليميا ودوليا ، وليس على مستوى دعم الانتفاضة والمقاومة أو التضامن

مع الشعب الفلسطيني ، وهكذا فإن المقاومة هي التي قدمت الدعم لنا جميعا على كل مستوي ، حافظت على كرامتها وردت الإهانة عن الحكام العرب "وليتهم يعترفون بالجميل" وعطلت عجلة العدوان الأمريكي ، وأيقظت الشعوب من رقاد طويل .

محددات الموقف المصرى الشعبى والرسمى

المراقب لطبيعة العلاقات الاجتماعية والسياسية - الشعبية والحكومية في مصر منذ ستين عاما على الأقل في مصر يستنتج بسهولة أن العامل الفلسطيني ، أو عامل الصراع العربي الإسرائيلي ، أو عامل الصراع المصري الإسرائيلي هو العامل الأهم في تفاعلات تلك العلاقات ، وأن جميع القوى السياسية الشعبية وكذا الهيئات الأهلية ، والحكومات تأثرت بصورة مباشرة ، وتحددت حركتها وبالتالي مستقبلها ، ظهورها واستمرارها واختفائها بهذا العامل إلى حد كبير .

وهذا بالطبع يرجع إلى أكثر من سبب ، منها الطبيعة الوجدانية والثقافية والدينية للشعب المصري ، والذي يتأثر إلى حد كبير بصلة العروبة والدين والدم بالفلسطينيين ، وأن مصر هي قلب العروبة النابض ، وملاذ الإسلام الأكبر ، وبالتالي فاهتمامها بالموضوع اهتمام تاريخي ووجداني ، بالإضافة إلى العامل الجغرافي والاستراتيجي والأمني ، فمصر دولة مواجهة ، لها حدود مع فلسطين والخطر الأمني عليها تاريخيا يأتي من الشرق أي بوابة فلسطين ، وبالتالي فإن ما يجري في فلسطين يؤثر عليها بالضرورة ، فإذا قام كيان عدواني مثل إسرائيل يعد مفرزة استعمارية ووكيل عن الاستعمار الغربي ، فإنه بالضرورة يهدد الأمن القومي المصري ، ويهدد المصالح المصرية مباشرة ، وهذا يفسر لماذا اهتمت الحكومات المصرية غير ذات الطابع القومي بالموضوع رغم عدم انطلاقها من أهداف قومية ، مثل حكومات ما قبل ثورة ١٩٥٢ ، فضلا عن اهتمام الحكومات ذات الطابع القومي وهو مفهوم ، ومن الناحية الاستراتيجية فإن الأهداف الصهيونية في إقامة دولة كبرى من النيل إلى الفرات يهدد مصر في صميمها بالطبع ، أو حتى إقامة دولة إقليمية كبرى ذات هيمنة على المنطقة ولو في حدود إسرائيل الحالية يهمش الدور المصري ويشكل خطرا عليه وإضعاف مصر ، ومحاولة خنقها من الجنوب عن طريق منابع النيل ومداخل البحر الأحمر الجنوبية أمور أصبحت معلومة من السياسة والصراع بالضرورة تقوم بها إسرائيل باستمرار ، وهكذا فالاهتمام الشعبي والرسمي المصري له ما يبرره مصريا وعربيا وإسلاميا ، مبدئيا ومصلحيا على حد سواء وقد اهتمت مصر الشعبية مبكرا جدا بالموضوع الفلسطيني ، ومنذ ثورة حائط البراق سنة ١٩٢٩ قامت هيئات شعبية مصرية بتقديم الدعم للشعب الفلسطيني سواء في صورة مساعدات مالية أو عينية "مثل الجمعية الشرعية منذ ١٩٢٩

مرورا بعام ١٩٣٦ وحتى اليوم" أو باعتبارها القضية الأهم والمركزية مثل الحركات الإسلامية المصرية عموما ، التى رغم كل أخطائها فإن موقفها فى الموضوع الفلسطينى كان متقدما ، بل ربما يكون هو السبب الوحيد فى استمرار شعبيتها وجماهيريتها ومبرر وجودها حتى اليوم رغم الأخطاء الفادحة التى ارتكبتها .

مصر الرسمية والشعبية حاضرة فى الموضوع الفلسطينى دائما ، فالحكومة المصرية دخلت بجيشها عام ١٩٤٨ ، وكذا دخل قبل الجيش المتطوعون المصريون وخاض الجيش المصرى المعارك فى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ ، وكذا تحركت القوى الشعبية والسياسية فى كل مرة باتجاه دعم الشعب الفلسطينى .

وبدون الدخول فى تفاصيل تاريخية طويلة فإن الموقف الرسمى المصرى انتهى إلى توقيع اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩ ، استردت مصر بمقتضاها سيناء التى احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧ ، ولكن منزوعة السلاح ، وبشروط شديدة الخطورة لاتزال تؤثر فى الموقف الرسمى المصرى .

الموقف من القضية الفلسطينية كان سببا فى انهيار نظام الحكم الملكى فى مصر عام ١٩٤٨ ، وكان أيضا فى خلفية الصورة عند اغتيال السادات عام ١٩٨١ بعد توقيعه لاتفاقية السلام بعامين ، وكانت الأسباب التى قالها منفذو العملية فى التحقيقات تضم موضوع التفريط تجاه إسرائيل وتوقيع اتفاقية سلام معها ، وبعدها خاضت القوى الشعبية صراعا مريرا ضد التطبيع مع الكيان الصهيونى ونجحت فى وضعه فى حدوده الدنيا .

الشارع المصرى بدوره لا يتحرك بكثافة ، ولا يمس الأوتار مسا شديدا إلا الموضوع الفلسطينى ، وإذا كانت انتفاضة سليمان خاطر عام ١٩٨٧ والتى خرج الشعب المصرى فيها تضامنا مع سليمان خاطر من أهم المحطات فى هذا الصدد فإن الزلزال الشعبى الذى حدث عقب الاجتياح فى ٢٠٠٢/٣/٢٩ يؤكد هذا الأمر ، وقد وصل الأثر الفلسطينى فى هذه الانتفاضة أو الزلزال إلى قلب كل مصرى ، ووصل كذلك إلى أعمق أعماق المجتمع ، فالتظاهرات والاحتجاجات وصلت إلى كل قرية ومدينة ، شارع أو حارة ، جامعة أو مدرسة ، نقابة أو حزب سياسى بلا استثناء تقريبا .

وإذا كانت المطالبة الشعبية قد تلخصت فى تحريك الجيوش العربية دفاعا عن الفلسطينيين أو فتح الحدود أمام المقاومة الشعبية فى دول الطوق ، أو تسليح الفلسطينيين بالأسلحة المضادة للدبابات وغيرها من الأسلحة اللازمة لحرب المدن ، أو طرد السفير الإسرائيلى من القاهرة ، وإلغاء اتفاقية كامب ديفيد وتفعيل اتفاقيات الدفاع العربى المشترك ، فإن الموقف الحكومى المصرى كان يخضع لعوامل مختلفة - ربما لا نقدرها - ولكن يجب رصدها ،

فالحكومة المصرية كانت تراوح بين ضرورة السماح للجماهير بالتعبير عن نفسها أيا كان هذا التعبير حتى لا يحدث انفجار شعبى ، ولكن شريطة أن يظل التعبير تحت السيطرة ، فإذا ما خرج عن السيطرة لسبب أو لآخر تم قمع الجماهير فى حدود معينة "ضرب المظاهرات بقنابل الغاز أو خراطيم المياه وأحيانا الرصاص المطاطى كما حدث فى الإسكندرية ، واعتقال البعض وتحويلهم إلى النيابة بتهمة الإتلاف مثلا ، ولكن كلها فى حدود أضيق كثيرا ما يحدث عادة .

·اعتمد الموقف المصرى على ما يمكن تسميته بدبلوماسية الرسائل ، رسائل واتصالات بالأمريكان أو الأوروبيين تقوم بها الخارجية المصرية ، وهى أمور لم تجد بالطبع ، وكذا توجيه الانتقاد اللاذع لشارون وحكومته ، وترك الإعلام الرسمى من إذاعة وتلفزة وصحافة حكومية تفعل ذلك بدون حدود .

وكذا وقف الاتصالات غير الدبلوماسية مع إسرائيل ، وهو أمر ومزى أيضا ، دون الوصول إلى حد قطع العلاقات ، والحكومة المصرية فى تقديرها للموقف ترى أنها محكومة بإطار اتفاق كامب ديفيد الذى ينص على أن الاتفاق يجب اتفاقية الدفاع المشترك ، وكل الاتفاقات السابقة ، بل ويضع قيدا على توقيع اتفاقيات أخرى تتعارض أو تمس بنود اتفاق كامب ديفيد ، وأن طرد السفير يعنى إعلان الحرب وأكثر منه إلغاء الاتفاقية برمتها ، والتى كانت الحكومة الأمريكية ضامنة فيها وملزمة بالتدخل لصالح إسرائيل إذا أخلت مصر بالمعاهدة .

وبدهى أن الحكومة المصرية ترى أن أى عمل من شأنه الوصول إلى حافة الحرب قرار خطير يجعل مصر تخسر فورا المعونات الأمريكية "٢ مليار دولار سنويا" ، وتخسر دخل قناة السويس "٣ مليار دولار" والسياحة "٧ مليار دولار" فضلا عن تكاليف الحرب ، وفضلا عن مخاطر ضرب البنية التحتية فى مصر وخاصة الكبارى والطرق ، وقبل كل ذلك عدم إمكانية مواجهة آلة الحرب الإسرائيلية الأمريكية ، ولكن هذا لا يمنع أنها مستعدة للدفاع عن نفسها فى كل الظروف ، ورغم أن إطار اتفاقية كامب ديفيد - والإطار فى أى اتفاقية هو جزء منها - يدعو إلى إعطاء الفلسطينيين حقوقهم وعدم الاعتداء عليهم وهذا ما قد خرقته إسرائيل وبالتالى فإن إسرائيل هى التى بدأت بخرق الاتفاقية ، ولكن كما قلنا فإن الحكومة المصرية حسب تقييمها للموقف لا تريد أن تصل الأمور إلى حافة الحرب - وقد شرحت القيادة السياسية ذلك أكثر من مرة فى حوارات صحفية ، أو فى جلسات مع رؤساء الأحزاب المعارضة ورؤساء تحرير الصحف الحكومية والحزبية والمستقلة .

خواطر مسلم

وفي الحقيقة فإن مأزق الحكومة المصرية - كمأزق الحكومات العربية - هو مأزق الإحساس بالعجز والإحساس في نفس الوقت عن المسئولية الأخلاقية وإدراك مخاطر الممارسات الصهيونية ، ومن الناحية الأخلاقية فإن لمصر مثلا إحساس قومي وديني لا يبرر سكوت الحكومة المصرية ، وكذا فإن ضياع الضفة الغربية وغزة بالتحديد كان أحد أخطاء الحكومة المصرية وغيرها من الحكومات التي شاركت في حرب ١٩٦٧ وجاء بهزيمة كبرى ، وإذا كانت مصر قد استردت سيناء - منقوصة السيادة - فهذا لا يعفيها من المسئولية عن الضفة وغزة والجولان ، فكل هذه المناطق ضاعت معا في حرب ١٩٦٧ ويجب استردادها وعدم قبول استرداد إحداها على حساب الأخرى ، ومن ناحية إدراك المخاطر ، فإن ترك إسرائيل تفعل ما تشاء بالفلسطينيين سيشكل خطرا مستقبليا على النظام العربي برمته ، ومصر هي حجر الأساس في هذا النظام العربي وهزيمة الفلسطينيين على يد شارون ستطلق يده وجنونه ضد الجميع بما فيهم مصر طبعا .

بين الموقف الشعبي المصري ، والموقف الحكومي المصري المبرر أو غير المبرر تبقى نقطة في غاية الأهمية ، وهي لماذا لا يكون لدى الحكومات وبالتالي حكومة مصر خيالا سياسيا فتطلق المبادرة للقوى الشعبية ، وتتوقف عن ممارسات تحجيم تلك القوى ، وهي السياسة المتبعة منذ عام ١٩٥٢ والتي لم تسمح قط بظهور أي قوة شعبية مؤيدة أو معارضة للمؤسسة الرسمية ، ولم تسمح بتطور تلك القوى ، ولو تم السماح بتطور تلك القوى ولو عن طريق اتفاق صامت تلتزم بمقتضاه عدم المساس بالنظام وأركانه وهو الأمر الذي يخيف الحكومة عادة في مقابل إطلاق يدها في دعم الشعب الفلسطيني عن طريق المتطوعين أو تهريب السلاح له بدون علم الحكومة ضمنيا ، لكان الموقف مختلفا ، ونذكر في هذا الصدد أنه منذ عام تقريبا ظهر تنظيم إسلامي تمت تسميته في الإعلام المصري تنظيم الشيخ نشأت وهو بالمناسبة لا علاقة له بالإخوان المسلمين أو الجماعة الإسلامية أو الجهاد المصري أو غيرها من التنظيمات الإسلامية المعروفة - كان يحاول جمع المال وشراء السلاح وخاصة المضاد للدبابات وتهريبه إلى داخل الأرض المحتلة ، وتمت إحالة هذا التنظيم إلى النيابة ومن ثم المحاكمة ولم تصدر الأحكام بحقه بعد !!..

هذا الخيال السياسي المبدع يمكن أن يُخرج من الرحم المصري الخصب شيئا على غرار حزب الله مثلا ، وصحيح أن الظروف مختلفة لأن أرض مصر ليست محتلة على غرار الجنوب اللبناني سابقا ومزارع شبعا حاليا ، ولكن كما قلنا فإن الخيال السياسي والإبداع الحركي قادر على على خلق النموذج الملائم .

د . محمد مورو

خالد مشعل في حوار خاص :

خالد مشعل

خالد مشعل ، رئيس المكتب السياسى لحركة المقاومة الإسلامية(حماس) فى حواره :

- **شعبنا الفلسطينى فيه العشرات والمئات بل والآلاف الذين يتطلعون للشهادة فى سبيل الله من أجل تحرير أرض فلسطين ، أرض الإسراء والمعراج ، وتطهير القدس والأقصى المبارك**
- **إنقاذ القدس والأقصى مسئولية إسلامية وعربية ، وواجب دينى شرعى ، ينبغى أن يحضر المسلمون أنفسهم له**
- **كل فلسطين لنا من البحر إلى النهر ، وليس لليهود حق فيها**
- **معركة فلسطين معركة إيمان ومعركة عقيدة ومعركة شرف**

س - أى حديث يصدر منكم يمثل حماس؟

●● طبعا ، المكتب السياسى هو القيادة السياسية للحركة .

س- أنجز الجناح العسكرى لحماس عمليات عدة فى إسرائيل ، والسؤال عن بقية العمليات العشر التى وعدت بها حماس .

●● الجناح العسكرى فى الحركة (كتائب عز الدين القسام) أعلن عن وجود عشرة استشهاديين جاهزين للشهادة فى سبيل الله دفاعا عن الشعب الفلسطينى وانتقاما لضحاياه وردا على العدوان الصهيونى ، حتى الآن ستة شهداء مضوا إلى ربهم سبحانه وتعالى ، آخرهم بطل عملية (نتانيا) ، اليوم بلغنى أن هناك عملية استشهادية فى الخضيرة ، فربما يكون هذا هو السابع وأعتقد أن شعبنا الفلسطينى ليس فيه عشرة فقط ، بل فيه العشرات والمئات ، بل والآلاف الذين يتطلعون للشهادة فى سبيل الله من أجل تحرير أرض

فلسطين أرض الإسراء والمعراج وتطهير القدس والأقصى المبارك ، وهذه الروح المعنوية العالية عند شعبنا ثقتنا به عالية ، ولكن الذى ينقص شعبنا هو السلاح ، أقصد السلاح الكافى لمتطلبات هذا الصراع الطويل مع الصهاينة .

س- بالنسبة للعمليات (الانتحارية) ، هل ستصمد أمام الترسانة الصهيونية وما يمارسه شارون حاليا من حرب على الشعب الأعزل ؟

●● أولا : هى عمليات استشهادية وليست عمليات انتحارية ، نحن قناعتنا أنها عمليات استشهادية فى سبيل الله ، وفاعلها شهيد عند الله ، وله أجر عظيم عند الله تعالى ، وبالنسبة لفاعلية هذه العمليات نحن ندرك أن ميزان القوى مختل لصالح العدو ، نعلم أن العدو الصهيونى متفوق علينا عسكريًا وتكنولوجيًا ، ولديه ترسانة كبيرة من السلاح ليست موجودة عند شعبنا ، وآخر ما استعمله الصهاينة بقيادة شارون طائرات " إف ١٦ " الهجومية أمريكية الصنع ، والتى عادة تُستعمل فى الحروب بين الدول وليس ضد شعب أعزل ، ومع ذلك فإن قناعتنا أننا نملك سلاحًا استراتيجيًا رادعًا هو سلاح الاستشهاديين ، هذا السلاح الذى يخترق صفوف العدو ويصل إليهم فى كل مواقعهم ، ويبعث الرعب والهلع فيهم ، وتوجد الآن تداعيات كبيرة ، الانتصار على القوى المحتلة ليس بالضرورة بحاجة إلى توازن فى القوى ، ولو كان الأمر كذلك لما تمكن أى شعب أن يتحرر من الاحتلال أو يستقل ، ولكن المطلوب توازن الرعب ، وتوفر إرادة عند الشعوب حتى تتخلص من الاحتلال ، هذا متوفر عند شعبنا الفلسطينى ، والقوى المحتلة الغازية لا تصبر على المعارك الطويلة ، وفى النهاية ستخرج ، والتاريخ يؤكد أن كل القوى الغازية تخرج من الأراضى التى احتلتها ما دامت الشعوب حية ومؤمنة فكيف إذا كان شعبنا الفلسطينى ، الشعب المؤمن المسلم الذى ينتمى إلى أمة عظيمة فى النضال والاستشهاد ، والصهاينة بطبعهم جبناء ، ولا يصبرون على هذه المواجهة لكن نريد من الأمة أن تدعمنا لأن المعركة ليست متكافئة ، ومعركة القدس والأقصى هى معركة المسلمين جميعا وليست معركة الفلسطينيين وحدهم .

س- يقودنا ذلك إلى تقويمكم للجهد العربى والإسلامى فى نصرة القضية ؟

●● تقويمنا أن الأداء العربى والإسلامى سلبى وضعيف .. على مستوى الشعوب جيد، ونعلم أن الشعوب مضغوط عليها ، ولا تأخذ فرصتها الكافية للتفاعل مع قضية فلسطين ، نعلم أن شعوبنا العربية والإسلامية متعاطفة ، ولكن قد لا تتمكن من إظهار هذا التعاطف .

ولكن مع ذلك نحن نريد مع الشعوب أن تتفاعل فى الميدان بشكل قوى ، مثل تفاعلها فى الأسابيع الأولى من الانتفاضة ؛ ولأن التفاعل الجماهيرى فى الساحات العربية

والإسلامية ينعكس إيجابا ،على معنويات الشعب الفلسطيني فيشعر الفلسطينيون أنهم ليسوا وحدهم في الميدان ، وأن إخوانهم المسلمين في العالم يقفون إلى جانبهم :.. ولذلك نريد من الشعوب المزيد من الدعم الجماهيري والمالي والإغاثي ، في مواقف الحكومات ، نريد تطوير موقفها ، هناك بعض التحسن في الآونة الأخيرة لكن نريد أن يتطور إلى حالة أفضل ، سواء على صعيد الدعم السياسي من خلال تبني حالة المقاومة في فلسطين وحماية خيار المقاومة والانتفاضة والدفاع عنه ، أو بالدعم المالي الواسع حتى يتمكن شعبنا من الصمود ، وأيضا الدعم بالسلاح .

س - قضية الدعم المالي تمثل مشكلة للشعوب الإسلامية ، فهناك بعض المجتمعات ترغب في الدعم ولكن لا تشتهر طرق رسمية أو قنوات نضمن فيها وصول الدعم إلى الشعب الفلسطيني رأسا .

●● يمكن إرسال الدعم للشعب الفلسطيني عبر طريقين : الطريق الأول هو إعطاء المساعدات إلى الشعب بشكل مباشر عبر القنوات الخيرية ، وعبر لجان الزكاة والمؤسسات الخيرية ، وهذه يمكن أن تصل إليها عبر المؤسسات الخيرية في الخارج .

س - أمثلة .. ممكن ؟

●● مثلا : هيئة الإغاثة الإسلامية توصل إلى الشعب في الداخل ولجنة المناصرة في الكويت .. فهذه مؤسسات تشتغل في الضوء تشتغل بشكل واضح ، وتوصل المال للجان الزكاة والهيئات الخيرية في الداخل ، وبالتالي يصل الدعم إلى الناس ، ليس إلى السلطة ولا إلى الفصائل الفلسطينية .

القناة الثانية : أن المتبرعين يعطون الفصائل التي تجاهد على أرض فلسطين كحركة حماس ، نحن لنا حق عند المسلمين ، وبالتالي نحن نرحب بكل تبرع - لأننا نتحمل مسئولية كبيرة ببرنامجنا الجهادي ، المجاهدون لهم تبعات ، أسر الشهداء ، أسر المعتقلين ، نحن ننفق على حوالي ألفي أسرة من أسر الشهداء والمعتقلين ، وهذه مسئولية كبيرة ، ونريد من الأمة أن تقف إلى جانبنا لتعين

مجاهدينا وتعين أسر الشهداء والمعتقلين ، وتعين الحركة على الصمود فى وجه شارون والطغمة الصهيونية .

س- هل هناك معتقلون فى سجون السلطة الفلسطينية ؟

●● هناك عدد محدود ربما اثنين أو ثلاثة ، لكن المعتقلين فى سجون العدو الصهيونى.

إذن ، المتبرعون المسلمون لديهم خيار الكثرة من إما أن يعطوا للشعب مباشرة عن طريق القنوات الخيرية ، وهذا أمر طيب ومطلوب لدعم صمود الشعب الفلسطينى ، وحماس تساعد فى ذلك إلى حد بعيد ، والخيار الثانى دعم الحركات المجاهدة وخاصة حركة حماس .

س- لإيصال الدعم مباشرة لحركة حماس هل توجد قناة رسمية محددة ؟

●● نحن بسبب حساسية وضعنا ، وبسبب رقابة الدول الكبرى لا نتعامل بالحسابات البنكية كحركة ، ولكن يمكن التبرع بشكل مباشر مع رموز الحركة ، الحركة لها ممثلون ورموز فى أقطار عديدة ، يمكن من خلالها إيصال المبالغ لحركة حماس ، من يسأل لن يتعب يستطيع أن يصل إلى رموز حماس .

س - هل تتوقعون اندلاع حرب فى المنطقة؟

●● هذه واحدة من الاحتمالات ، لأن شارون تاريخه الدموى يتصف بالمغامرات ، ولديه اعتداد كبير بنفسه ، فقد يقدم على مغامرة من هذا النوع ، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ، إذا عجز شارون عن وقف الانتفاضة ، وظل مرتبكًا أمام انتفاضة شعبنا الفلسطينى فقد يهرب إلى الأمام من خلال توسيع إطار الحرب وخاصة أن فى حكومته من يهدد ، هناك (ليبرمان) الذى هدد بضرب إيران، وهدد بتدمير السد العالى فى مصر ، و(شارون) ذاته (وموفاز) يهددان سوريا ولبنان، هذه الأجواء لا شك أنها تقترب من احتمالية الحرب وأنا أعتقد أن الأمة ستواجه خيار الحرب شاءت أم أبت ، لأن العدو الصهيونى لن يتوقف عن مطامعه وتهديداته لأمتنا .

س - هل لحركة المقاومة الإسلامية حماس جيش نظامى ؟؟..

●● لا ، النموذج عندنا فى فلسطين ليس كالنماذج التقليدية ، ليس مثلا كنموذج المجاهدين فى أفغانستان أو البوسنة أو غيرها لأنه ليس لدينا أرض آمنة نقف عليها ، نحن مختلطون مع الاحتلال الصهيونى ، ليس لدينا منطقة آمنة ، لذلك ليس عندنا جيش نظامى ، ولكن عندنا مجاهدين يعيشون حياة مدنية ، أسماؤهم غير معروفة ، ولا يعرفون إلا عند تنفيذ العملية ، وفى اللحظة الحازمة (ولا أحد يعرف أنه من كتائب عز الدين القسام) ينفذ عمليته ، هذه طبيعة ظرفنا ، المعركة صعبة جداً ، والمنطقة محدودة ، وليس عندنا غابات وجبال يمكن أن يتترس فيها المجاهدون ، الجغرافيا الفلسطينية جغرافيا محدودة لا تسمح بمثل حرب العصابات بشكلها التقليدى.

س – نريد منكم صورة صادقة عن أحوال الأسر الفلسطينية الصامدة فى فلسطين .

●● الشعب الفلسطينى يتعرض لضغوط ومضايقات شديدة جداً فى كل جوانب حياته ، الكثير من الأسر محرومة من مصدر الرزق ، لأن أرباب الأسر انقطعت أعمالهم ، كثير من الأسر تعيش حالة فقر حقيقية ، كثير من الأسر يكون بينها شهيد ، ابن شهيد ، أو معتقل أو جريح أو مُبْعد ، وكثير من الأسر تصادر أراضيها ومصدر رزقها أو تجرف مزارعها ، هذه هى الحالة الحقيقية ، وفى ظل التجويع والحصار وعدم وجود مصدر رزق لاشك أن الحالة التى تعيشها الأسر الفلسطينية حالة صعبة ، ومع ذلك فبسبب الإيمان بالله سبحانه تعالى ، والثقة بالله ، والإصرار على المقاومة والانتفاضة فى مواجهة شارون والاحتلال الصهيونى المعنويات عالية جداً ، من هنا أهمية أن يناصر العرب والمسلمون إخواننا على أرض فلسطين بالدعم المالى والجماهيرى والإعلامى والدعاء وبكل الأشكال ، بل أن يتهيأ المسلمون للحظة لا بد أن يشاركوا فيها لمواجهة هذا العدو ، لأن إنقاذ القدس والأقصى مسئولية إسلامية وعربية ، وواجب دينى شرعى ينبغى أن يحضّر المسلمون أنفسهم له .

س- بالنسبة للأمن الشخصى لرموز الحركة .الإسلامية عموما ولحماس خصوصا بعد حركة التصفيات الأخيرة لشارون ، ماذا تتوقعون ؟

●● الحافظ هو الله سبحانه وتعالى ، الحفظ بيد الله ، العمر بيد الله ، وشعبنا لا يخاف من الموت ، بل العكس ، الموت فى سبيل الله أمنيته ، شبابنا ومجاهدونا لا يخافون من الموت ، بل يقبلون على الموت ما دام فى سبيل

أحد العمليات الاستشهادية داخل إسرائيل

الله ودفاعًا عن الأرض .

ولكن هناك معركة أمنية شرسة ، العدو الصهيونى يمتلك أسلحة متطورة ، يمتلك أجهزة أمنية متقدمة ، يمتلك وسائل تعقب وملاحقة شديدة ، هناك عملاء مبثوثون فى الساحة الفلسطينية ، كل ذلك يجعل المعركة شديدة جداً على المجاهدين، والمجاهد لا يملك الإمكانات التى تساعده على الحماية بشكل كافٍ ، ولذلك تجد شهداء يسقطون من كوادر الحركة ورموزها ومن كوادر الانتفاضة ، وهذه طبيعة المعركة ، (يقاتلون فى سبيل الله فيقتُلون ويقتَلون) ، وإذا كان العدو يتغلب علينا أحيانا من خلال قتل رموزنا وكوادرنا فإننا نتغلب عليه رغم كل إجراءاته الأمنية ، نصل إليه فى العمق ، مرة نصل إليه فى (الخضيرة) ومرة فى (نتانيا) ومرة فى (العفولة) مرة فى (تل أبيب) ومرة فى (القدس) ، ونصل إلى مستوطنيهم ، الحرب سجال ، هذه معركة ، رغم أن العدو متفوق علينا عسكريا لكننا نثخن فيه كما يثخن فينا وهذا مصداقا لقول الله تعالى : ﴿ولا تهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾ .

س - بالنسبة لقضية عودتكم للأردن ماذا بُتَّ فى هذا الأمر ؟.. وهل هناك أخبار جديدة عن الشيخ أحمد ياسين ؟

●● الشيخ المجاهد أحمد ياسين صحته طيبة والحمد لله ، وإن كان بين الحين والآخر يعانى من بعض الأمراض والعلل ، ويدخل المستشفى بسبب ضيق التنفس والربو .

س - كم عمره ؟

●● ثلاث وستون سنة ، ولكن الله عز وجل يعطيه الصمود والثبات ويعافيه ، ومعنوياته عالية ويدعو لإخوانه المسلمين فى العالم .

س - التعاون مع الجماعات الإسلامية فى فلسطين .. ما هى أبعاده ؟..

●● الجماعات الإسلامية محدودة داخل فلسطين ، هناك إخواننا فى جماعة الجهاد ، وعلاقتنا طيبة معهم بحمد الله ، وهناك علاقة مع كل القوى الفلسطينية حتى غير المتدينة كالحركات القومية والوطنية واليسارية ، لدينا علاقات وتنسيق بينهم .

س- هل صار خيار المواجهة والجهاد هو الخيار الوحيد، أم أن هناك تيارات مازالت تترد حول هذا الخيار ؟

●● شوف أخى : من بركات هذه الانتفاضة أنها أكدت لكل القوى أنه لا خيار إلا للجهاد والمقاومة والانتفاضة ، لأن التسوية جربت ، جربت منذ أوسلوا منذ قبل عام ٩٣ أى قبل تسع سنوات ، جربت وفشلت ، أما المقاومة جربت فى جنوب لبنان ونجحت، هذا يؤكد ويعزز أهمية الجهاد والمقاومة عند كل القوى الفلسطينية، أعتقد أن معظم القوى الفلسطينية بهذا الاتجاه ، وشعبنا مجمع على خيار المقاومة ، وإن شاء الله يستمر عليه حتى يحرر أرضه ويطرد الاحتلال .

س- فى أدبيات حماس إصرار على تحرير فلسطين من البحر إلى النهر ، هل تقصدون حدود ما يسمى بدولة إسرائيل أيضا ؟

●● فلسطين أرض عربية إسلامية ، وكل فلسطين لنا وليس لليهود حق فيها ، وتقادُمُ الاحتلال ومضى خمسين أو ثلاث وخمسين سنة لا يعطيها الشرعية ، السرقة مهما طال زمنها لا تصبح حلالاً ، والاغتصاب لا يكون حلالاً ولو طال الزمن عليه ، ولذلك فنحن متمسكون بكل أرضنا الفلسطينية ، اليهود غاصبون محتلون ينبغى أن يخرجوا من أرضنا ونحن واثقون أن صمود شعبنا الفلسطينى فى ظل الجهاد والمقاومة ، وفى ظل دعم الأمة لنا سيمكننا بإذن الله من طرد اليهود وطرد الاحتلال الصهيونى عن أرضنا الفلسطينية .

س - كلمة لأمتنا الإسلامية ؟

●● أنا أناشدها الله تعالى أن تتحمل مسئولياتها فى هذه المرحلة الصعبة ، فإن القدس هى للمسلمين جميعا ، والمقدسات هى مقدساتنا جميعا ، والمسجد الأقصى هو قبلة المسلمين الأولى ، ومسرى الرسول صلى الله عليه وسلم ومعراجه إلى السماء ، وأرض فلسطين على مدار التاريخ دافع المسلمون عنها من كل الأقطار ، (صلاح الدين) ليس فلسطينيًا لكن جاء وحررها ، وكذلك (قطز) وجاءت مجموعات عديدة من كل أقطار العالم الإسلامية فى الماضى ودافعت عن فلسطين ، لذلك لا يجوز ترك القضية الفلسطينية للفلسطينيين وحدهم ، العدو الصهيونى مشروع عالمى ، مدعوم من الغرب الصليبى ، والعدو الصهيونى يشكل خطراً على المسلمين جميعا ، وليس على الفلسطينيين وحدهم ، لذلك هناك ضرورة أن يتحرك المسلمون لإنقاذ القدس والأقصى ، ولمساعدة الشعب الفلسطينى فى قتاله وجهاده ضد الاحتلال الصهيونى ، هذه مسئولية دينية شرعية ، الله عز وجل لن يغفر للمسلمين تقصيرهم ، والتاريخ لن ينسى تقصيرهم لو قصروا ، ومعركة فلسطين معركة إيمان ، ومعركة عقيدة ومعركة شرف ، ومن يشارك فيها فهو الكاسب ، وهو الفائز فى الدنيا والآخرة إن شاء الله ، ونحن على ثقة أننا سننتصر بإذن الله على اليهود ، هذه مسئولية الأمة وهذا خطابى لها .

د . أيمن منصور

الإسلام المعدل .. آخر صيحة أمريكية

أبواق "الردح" العالمي استخدمت "الميديا" لمهاجمة حواس البشر في ملاحقة وإلحاح .. لتنتشر فيها خلايا سرطانية لفكرة صدام الحضارات وأن الإسلام هو مزرعة الإرهاب ، وأن سلام العالم وأمانه يتوقف على منع مصادر الري لهذه المزرعة وتجفيف منابعها .. وإنتاج إسلام آخر بديل معدل .. مستنسخ .

وفكرة الإسلام المعدل .. فكرة محورية .. قديمة كانت دائما هدفا مركزيا للغرب .. استخدمت فيها كافة أساليب الأبالسة وتنوعت من الانقلاب اللاديني في تركيا حيث استبدلت العمامة والطربوش بالقبعة وكتبت اللغة من اليسار بحروف إفرنجية بدلا من العربي لغة القرآن .

ومُنع الحكم بالشريعة وحصار المساجد والتضييق على العبادات .. وركبوا قطار الانفلات لا يتوقف إلا عند محطات الفسق والمروق ليتزودوا منها بوقود الحقد والضلال .. حتى أصبحت محطات التليفزيون التركية التي يمتلكها اليهود تفوق نظيرتها الأوروبية في تصدير الفجور والعهر .

ورغم سيطرة الجيش الصارم على القيم الدخيلة .. والذي وصل إلى حد عدم تفويت جريمة فريق كرة قدم .. سجد شكراً في الملعب عقب إحرازه هدفاً .. إلا أن الصحوة الإسلامية فاجأتهم بهذا المد الهائل عندما ارتخت قبضتهم قليلا .. ففاز الإسلاميون بالانتخابات ، وما تم بعد ذلك من انقلاب معروف .. وكان متوقعا "لم يكن النموذج التركي إلا واحدا" من نماذج عديدة .. استخدم فيه كافة ما توارثته خبرات الطواغيت .. بين

الترغيب والترهيب ، والرصد ، وإعداد كوادر العلمانيين ، والعملاء ، والشواذ وكافة ما علمه إبليس لأعوانه .

وكل يوم نسمع عن فرقعات شيطانية لأفكار، تنفجر فوق جميع الثوابت .. وألغام وضعت تحت قواعد وأساسات أصول إسلامية .. حتى أصبح من الطبيعي أن تقوم دولة باعتبار يوم الجمعة يوم عمل ، وعلى من يريد صلاة الجمعة أن يؤجلها بعدين أو يصليها فى البيت ، ومرة أخرى باعتبار الصيام معوق للإنتاج .. ولم تسلم أمي وأمك وأختي وأختك وزوجتي وزوجتك من التهجم على سلوكياتهن واعتبارهن ضحية مضطهدة وسط عالم من الوحوش الإسلامية ويجب على المرأة أن تحول أيام الأسرة إلى نكد وصراعات ، ومعارك لانتزاع حقها السليب .. الذى خرج معها من رحم واحد .

كما تم حقن المناهج التعليمية بأوبئة لتشويه العقول ، وإصابتها بأمراض مستوطنة تسبب خمود الغيرة واللامبالاة وما يسمى "بالطناش" ، مع حول فى البصيرة ، وشلل فى الإبداع والرغبة فى التغيير ، وتسطيح العقول ونفى الذاكرة ليعيش الجميع فى غيبوبة سياسية .

حرب ضروس ، ونار مجوسية موقدة متأججة دائما ، كلما هدأت تم تلهيبها بمليارات "الفلوس" والدولارات واليورو والروبية .. إلخ.

ورغم ذلك زادت الصحوة الإسلامية .. تتحدى

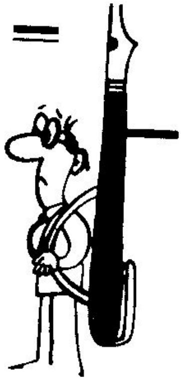

وجاء شهر سبتمبر أو أيلول ليرفع الستار ويكشف العورات ، ولم يبق إلا الهجوم المباشر والمطلوب واضح .. وبكل بساطة .. إسلام معدل يتوافق مع ثوابت المجتمع المدنى .. يتحقق فيه الجمع بين الأصالة والمعاصرة فى ظل شفافية التنوير .. تتطور فيه المفاهيم الدينية .. يتواكب فيه الخطاب الدينى مع ثورة "التكنولوجيا" .. فالنداء إلى الصلاة وهو ما يسمى سابقا بالأذان لماذا لا يؤدى بإيقاع فنى يبرز علو النغم الشرقى الشجى وبأسلوب "أوبرالى" ويا حبذا لو كان بحنجرة ذات طبيعة "جعرالية" "تنعيرية" كما يمكن تطوير الأذان عند إذاعته على شاشة التليفزيون بأداء شبابى باستخدام الفيديو كليب بدلا من الموسيقى "الحزاينى" الحالية التى تصاحب الإعلان عن موعد الصلاة .. على أنه يجب مراعاة المناسبة الروحية العظيمة بعدم استخدام الطبلة والصاجات .

وأما عن الخطاب الدينى ..

فلماذا لا نطور وظيفة خطيب الجمعة ، فنحن فى عصر الإنترنت والدش والمونتاج والإخراج لذا يجب أن يكون الإمام مثل مذيع التليفزيون يتم تجهيزه من قبل ارتقاء المنبر –

بالمكياج والملابس الشيك ، ولا بأس من وضع قلنسوة فوق رأسه من اكسسوارات المسلسلات التاريخية حتى يبدو متقمصا دوره ، ولا يظهر عليه أنه يمثل مشهداً سبق إعداده ، ولكى يقنع "جمهور المصلين" بأن يعيشوا لحظات الماضى المجيد ويستشعروا عبق التاريخ .

الإمام يجب أن تقتصر وظيفته على الإلقاء ومحظور عليه الخروج عن النص ، ولا بأس من وضع أحد المخبرين فى مكان ما ليقوم بمهمة التلقين .

وبهذه المناسبة فإن كاتب سيناريو الخطبة يجب أن يضمنها فقرات تشويقية أو بعض الأسئلة فى شكل مسابقة ، ينال جوائزها المصلى الذى يستطيع أن يجمع الأدلة الفقهية التى تبيح الربا ، وأكل أموال الناس بالباطل أو أدلة القياس التى تنص على الكذب والنفاق باعتبارها من فضائل المجتمعات المدنية ، والجوائز عبارة عن ألبومات للمطرب الشعبى إياه .

هل هذا نموذج صغير مما فى نيتهم ؟؟..

* هل اقترب عصر المسيخ الدجال ؟!..

ولولا بقية من نور الإيمان تشق الظلمات التى تحيط بنا .. تقبل العثرات وتزهر الأمل لقلت نعم .

كلام فى السياسة

تلجأ بعض الشركات لترويج سلعتها إلى حيلة عبيطة وهى الإعلان عن جائزة أعبط ، ينعم فيها الفائز برحلة مثلا إلى المريخ مع الإقامة الدائمة ، لأنها رحلة ذهاب بدون عودة فى فندق خمس كواكب ومشاهدة مباراة تاريخية بين فريق زحل والدب الأكبر ، أما عن المسابقة فهى جمع حروف الهجاء التى يتكون منها اسم الشركة والموزعة كل حرف فى عبوة من منتجاتها ، وتكتمل الخدعة حين لا يتم العثور أبدا على حرف أو حرفين تعمدت الشركة عدم وضعها فى العبوات .. ورغم إدراك الجميع للحيلة الساذجة إلا أن ذلك ينجح دائما فى ترويج أطنان من سلعها دون أن يحصل صاحب الحظ السعيد على سر فتح مغارة على بابا ، تماما مثل حكاية راكب الحمار الذى يربط جزرة فى طرف عصاه ويمدها أمام الحمار العنيد الذى يرفض السير ، ولأنه حمار فإن حماسه يشتد ويمد فمه ليأكل الجزرة فى محاولة مستحيلة إلا أن الأمل يظل يتراقص أمام عينيه .

قصة قديمة ومعروفة إلا أنها تتكرر فى السياسة .

إسرائيل والغرب يلعبانها منذ أكثر من ثلاثين سنة فعندما صدر قرار مجلس الأمن والذى يشبه رقمه أحد خطط مدرب فاشل فى كرة القدم ، وحسب النص الإنجليزى أن تنسحب إسرائيل من أرض محتلة .. سحب القرار حروف التعريف "ال" .. ومن يومها والعرب يستهلكون أطنانا من المنتجات اليهودية والغربية المرة والمسمومة والمنتهية الصلاحية فى غش دعائى أصاب الجميع

بالفشل الكلوى السياسى ودون لمحة أمل فى العثور عن حروف أداة التعريف التى تم التكتيم عليها من كل اللغات .

وعندما انسحبت إسرائيل من سيناء .. ظلت تحتل طابا .. لتجعل منها نموذجا للملاوعة والمناهدة لما يجب أن يتحمله كل من يريد أن يسير فيما يسمى بطريقة السلام .. عليه أن يركب وابور التفاوض الكسيح الذى كلما قطع شوطا تتفكك أوصاله طالبا الميكانيكى الأمريكى فيقوم ببعض حركات الإصلاح .. ثم (إلى بيحب النبى يزق) ليبدأ من جديد زحفا نحو السراب المنشود ولم تخلص طابا إلا بطلوع الروح ، وحتى سيناء كلنا يعلم كيف خرجوا منها ثم سمعنا عن أوسلو التى أضاعت كل حروف الهجاء وليس أداة التعريف فقط واخترعت بدلا منها سلطة من وزارات لا تحكم إلا بعض الحوارى الفلسطينية وكل ما هو مسموح لها هو سلطة القبض على النشطاء ، واعتقال "الإرهابيين" ، ولا تملك من أمرها إلا استعراض حرس الشرف و .. دقى يا مزيكا .

ورغم أن الاستسلام كان مخزيا إلا أن الأمل فى "الجزرة" ظل قائما فمسلسل التفاوض ظل

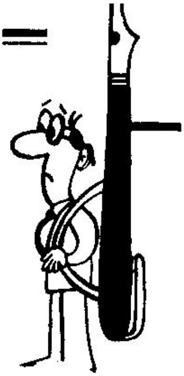

مستمرا كفيلم هندى لا تبدو له نهاية ، ولأن الجميع وقعوا فى الفخ الدعائى بأنه لا سبيل إلى التفاوض إلا بمزيد من التفاوض.

وحيث إن الإنسان لا يمكن أن يمثل دور الحمار إلى مالا نهاية لأنه بكل بساطة كائن له تصوراته وأحلامه ، ورغم أن هذه التصورات والأحلام قد تسبب له فى مرحلة ما رعباً يهزه حتى النخاع إذا انهزم أولا من داخله أمام احتمالات مواجهة قوى الاستكبار التى تحكم العالم إلا أنه فى مرحلة أخرى يجد أنه ليس له مهرب عن ذلك .

وعندما تقع الفأس فى الرأس فإن طاقات النفس تتجلى فى قدرات هائلة تزداد إبداعاً وثباتاً إذا استندت إلى ركن الإيمان الشديد .

وعلى هذا واجه الإنسان كوارث الطبيعة من براكين وزلازل وعواصف الجليد ولهيب الصحارى وعطشها ، كما عايش دمار الحروب وما خلفته من تشوهات وجوع وتشريد ، وهذا هو ما حدث مع الشعب الفلسطينى المؤمن ففى الوقت الذى ظن فيه السيد الجالس على خازوق نجمة داود السداسية ومن وراءه هذه القوة الخرافية أن أمة العرب قد تحولت إلى صفوف من المتسولين بعد أن لانت مفاصلهم

وتفككت فقرات ظهورهم المتيبسة فركعوا وبلغ الاستسلام مداه .. أفاق على صوت المارد الفلسطيني المسلم ينتفض بعد أن تسللت النار تذيب خلاياه وكادت أن تهدم بنيته النفسية .. انتفض .

كان عليه أن يرفض الجزرة وأن يرفض البضاعة العفنة منتهية الصلاحية ، وأن يسد أذنيه عن وسوسات مروجي سلعة الحروف الهجائية والقرارات المضروبة وسماسرة التفاوض .

وكان أمامه النموذج اللبناني .. نموذج حزب الله الذى خرج من بطن أمة كادت تضيع بين فئات الطوائف المتناحرة .. ابتدع من الأساليب وفنون المقاومة ، ولم يرهب الأنياب النووية والذراع الطويلة للأباتشي والإف ١٦ أو القنابل الذكية والغبية .. أن يجبر إسرائيل على الانسحاب باستخدام سلاح الاستشهاد .. هم يضربون ويدمرون بأعتى أسلحتهم لكى نموت ، ونحن نرحب بالموت .. لا فرق بين أن يموت المؤمن استشهادا بقنبلة ذرية أو بسكين معدة لتخريط البصل ، فالموت فى سبيل الله فوز فى كل الأحوال ، ولكن .. هل فى استطاعتهم هم مواجهة الموت .. هم يضربون دائما من بعد ومن وراء جدر مدرعة وبطائرات لا تخطئ التصويب ، أما نحن فبكل بساطة لا نحتاج إلى أي من هذا الحديد .. لقد ألغينا المسافة ونحن نتسلل إليهم .. ثم نضربهم فى أحشائهم .

فلأول مرة نتفق مع اليهود على هدف واحد هم الذين يقولونه .. الحرب بيننا وبينهم حرب وجود .. لا حرب حدود .. هم يريدون قتلنا .. ونحن أيضا نريد أن نموت .

ولكن هم أيضا سيموتون .

وقتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار .

شارون سفاح ... (ماشى)

شارون نازى ... (موافق)

شارون مصاص للدماء (حقيقى)

شارون مجرم حرب أو مجرم سلام ماتفرقش .

صفات خرمت الأذان .. وامتلأت بها الفضائيات والإنترنت و..إلخ .. ثم ماذا ... وبعدين .

الناظر إلى شكل شارون وتكوينه الجسمانى أشبه (ببرميل طورشى) ولكنه لا يصلح لأن يكون شماعة .. نعلق عليها خطايانا .. وفضائحنا .. وحتى (باول) بقوامه لايصلح لأن يكون شماعة أيضا إلا بعد إدخال بعض التعديلات عليه !!..

شارون ليس مسئولا عن غفلة الذين ظنوا أنه سيهدم البيوت فوق رءوس أصحابها (بشويش) أو يهرس بمجنزراته الأحياء (كده وكده) .. أو أن الأباتشى تطلق صواريخا من الألعاب النارية احتفالا بفوز فريق كرة القدم ، أو أن قذائف الدبابات ستنطلق «مزغردة» وكأنها تعزف لحن (سلام يا جدع) فى عرس (الهلاك) الذى يزينه حضور العرب الأشاوس

... الأمجاد ... والذين تفرض عليهم النخوة والشهامة أن يدفعوا (النقطة) لفتوة الفرح..!

شارون لم يخفى شيئا (فالذى «يزمر» لايخفى ذقنه)

فهو يمثل الدولة اليهودية كلها .. ومن ورائه مدد رافد ودعم من كل يهود العالم .. ومن ورائهم مئات الملايين من العالم الغربى ... وقد أثبتت المواقف - لا التصريحات - أن العرب والمسلمين جميعا لا يساوون ثقل (زلطة) فى تفكير العقل الغربى ..

المأساة أن هذه المواقف بدت لنا وكأنها تحدث فجأة .

لقد نسينا أو تناسينا أن الغرب يتعامل بمثلنا القائل أن من لا يملك قرشاً .. لا يساوى قرشا ..

ولكنه قالها بالخواجاتى .. من لا يملك بنساً أو سنتيما أو سنتا أو فرنكا .. ورغم أنه عندنا ثروات هائلة بملايين الملايين .. ولكننا لا(نملكها) فهى إما مرهونة تحت سيطرة الغرب ... أو أرصدة فى الحفظ والصون لا نستطيع التصرف فيها أو محجورا عليها ... لافرق .

لقد وقع الزلزال وحلت الكارثة .

وانكشفت الشبورة التى ضببوا بها عالمنا طوال القرن الماضى باسم شفافية التنوير ولم يعد أمام المنافقين الذين ارتضوا لأنفسهم أن يكونوا أحذية فى أرجل الغرب والصهيونيين يدوسون على قيمنا بها ... لم يعد أمامهم إلا التوبة .. فلا مستقبل لهم فى أرجل الغزاة .

ولم يعد أمام الناس إلا العودة إلى الأصل والملجأ والملاذ .. الطريق طويل ..و.. مر .

أفيقوا يرحمكم الله قبل أن يعم الطوفان ونصبح جميعاً (عربا) إسرائيليين (عبيداً) فى إسرائيل الكبرى من المحيط إلى الخليج .

د . أيمن منصور

اقتراحات :

● بمناسبة الاقتراح عن قيام دولة علمانية تضم إسرائيل وفلسطين .. يمكنها الانضمام إلى جامعة الدول العربية .

واسم هذه الدولة المقترحة "اسراطين" وهذا ولاشك سيمثل حافزا للدول العربية الأخرى إلى إقامة الوحدة المنشودة تبدأ بدولتين فالسعودية تتحد مع الإمارات باسم دولة "سعومرات" ومصر مع السودان باسم "مصردان" والمغرب مع موريتانيا باسم "مغروتانيا" والبحرين مع الكويت باسم "بحرويت" وعلى هذا يمكن تعديل اسم الجامعة العربية إلى "جامعة الحروف العربية" .

زوجة زعيم حزب المؤتمر الوطنى السودانى تتهم :

وصال الترابى : تلاميذه المقربون غدروا به !

كيف يقضى الدكتور حسن الترابى أيامه فى الإقامة الجبرية فى ضاحية كافورى شرق الخرطوم بعدما أمضى فترة فى سجن كوبر ؟

زوجته السيدة وصال شقيقة رئيس الوزراء الأسبق الصادق المهدى روت تفاصيل حياته مشيرة إلى أنه لا يحمل حقدا على أحد ، على رغم أن تلاميذه المقربين هم الذين غدروا به ورموه فى غياهب السجن .

● منذ متى ارتبطت بالترابى ومن أنجبتم من الأبناء خلال هذه الفترة ؟..

- تزوجت من الترابى قبل ٤٢ عاما ، وأنجبنا ثلاثة من الأولاد ومثلهم من البنات ، وهم صديق وعصام ومحمد عمر وسلمى وأسماء وامامة ، وقضينا هذه العقود على رغم تقلباتها السياسية والاجتماعية فى البلاد وظل الترابى فى قلب الأحداث السياسية منذ عام ١٩٦٤ ، وأمضى فى عهد الرئيس السابق جعفر نميرى نحو ٧ سنوات فى المعتقل وحتى أنا لم أسلم إذ قضيت شهورا فى الاعتقال .

● ما الفرق بين الاعتقال فى عهد نميرى والحكومة الحالية ؟.. وهل تتعرضون إلى مضايقات ؟..

- فى عهد نميرى لم نتعرض إلى مضايقات مثل التى نتعرض لها حاليا ، وقضى الترابى معظم سنوات اعتقاله فى السابق فى منزله مرة فى حى العمارات فى وسط الخرطوم ثم فى حى الملازمين فى أم درمان حيث فُرضت عليه الإقامة الجبرية ، لكنه كان يعيش حياة شبه طبيعية ، أما الآن فقد أمضى أولى أيام اعتقاله (٢١ يوما) فى سجن كوبر وعومل معاملة قاسية إذ كان ينام على "برش" فى الأرض فى حجرة صغيرة بائسة ومتسخة تتجول داخلها الفئران الأمر الذى سبب له متاعب صحية ، ثم وفر له مكيف هواء طاقته لا تناسب مساحة الحجرة ما أعاد إليه أمراضا أصيب بها فى مرحلة سابقة .

● هل تغير الحال بعد نقله من سجن كوبر إلى مقر إقامته الجبرية فى ضاحية كافورى ؟

- الاعتقال هو الاعتقال والحرية لا تُقدر بثمن ، والظلم هو الظلم ، لكن تغير الوضع

نسبيا إذ خرج الترابى من غرفة صغيرة إلى استراحة حكومية تتألف من طابقين ، الطابق الأرضى فيه صالون لاستقبال الضيوف ومطبخ ، والأعلى يتألف من ثلاث غرف، وفى الاستراحة حديقة لكنه لا يستطيع استخدامها أو التجول فيها لأنها مكتظة بالحراس المدججين بالسلاح . ونحن نقوم بتنظيف الاستراحة ونستأجر عمالا لهذا الغرض وندفع لهم من مالنا ونعد الأكل والشرب فى منزلنا فى ضاحية المنشية فى الخرطوم ثم ننقله إلى كافورى فى الخرطوم بحرى يوميا ، والمسافة ليست قصيرة ، كما نقوم بغسل ملابسه أيضا فى منزلنا ، أى أن الاستراحة الحكومية لا توفر لنا أى خدمة، ولا يتوافر فيها شئ عدا الحراس .

● هل يستطيع الترابى إجراء اتصالات عبر الهاتف أو متابعة ما يحدث فى داخل البلاد وخارجها .

– لا يوجد هاتف فى الاستراحة ، وحُظرت علينا زيارته ونحن نحمل الهاتف الجوال ، وإذا وجد معنا فيُصادر، هذا ما أبلغتنا به السلطات الأمنية، لذا فإنه لا يستطيع الاتصال بآخرين عبر الهاتف لكنه يتواصل مع وطنه والعالم عبر الصحف التى نحضرها له يوميا والاستماع إلى المذياع ومشاهدة القنوات الفضائية بعدما استطعنا الاشتراك فى "قناة الخرطوم الفضائية" التى توفر لمشتركيها مشاهدة ١٥ محطة فضائية .

وكانت السلطات زودت الاستراحة بجهاز تليفزيون صغير اشتكى من صعوبة مشاهدته ، فجلبنا له آخر أكبر حجما من المنزل .

● هل تستطيع الأسرة زيارته طوال الأسبوع أم أن هناك أياما محددة للزيارة ؟..

– مسموح لى ولابنته الصغرى امامة الإقامة معه ، وأنا أتحرك بين منزلنا ومقر إقامته لجلب الطعام وأترك امامة فى خدمته ، أما بقية أفراد الأسرة فلا يُسمح لهم بزيارته إلا يوم الجمعة فقط حين يستقبل أبناءه وأحفاده وأفراد أسرته الأقربين ، مثل أشقائه وشقيقاته .. وكان حُدد وقت وجيز لهذه الزيارة ولكن بعد احتجاجنا مددت من الصباح حتى المساء .

● هل يُسمح لآخرين من حزبه أو أصدقائه بزيارته ؟..

– لا لم يُسمح لآخرين بزيارته على رغم أن كثيرين طلبوا من السلطات السماح لهم بزيارته لكنها رفضت واستجابت فقط لمسئول الحزب فى الخرطوم ياسين عمر الإمام ، الذى قابله بحضور ممثلين لجهاز الأمن ، وكذلك زاره نقيب المحامين فتحى خليل الذى قام بمساع للإفراج عنه ، وأيضا القيادى فى الحزب الحاكم عثمان خالد مضوى ، ورئيس القضاء السابق حافظ الشيخ الزاكى .

● وهل سمحت السلطات لأجانب بزيارته ؟

– سمحت لوفد من المجموعة الإفريقية

الكاريبية الباسفيكية ، ورئيس النواب اليمنى الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر بزيارته ، لكنها رفضت لآخرين أبرزهم الرئيس الأمريكى السابق جيمى كارتر الذى أبدى رغبته فى مقابلته فردت عليه السلطات بأنه لا يرغب فى لقاء أحد ، لكن كارتر أدرك الحقيقة :

● هل تتعرضون لأى مضايقات خلال زيارات الأسرة له ؟..

- حدثت مضايقات عدة ، إذ أخضعنا للتفتيش الشخصى الدقيق ، وتفتيش السيارة التى كنا نستخدمها فى نقل الوجبات له ، حتى أن الترابى طلب منا عدم زيارته إذا أصرت السلطات على التفتيش غير أنها تراجعت عن ذلك .. كما واجهنا معاملة قاسية خصوصا فى الأيام الأولى من فترة الاعتقال وبطريقة غير مبررة ، كأنه العدو الأول للحكومة التى كان بالأمس أكبر رموزها .

● ما هى انعكاسات اعتقال الترابى عليه وعلى أسرته ؟..

- الترابى صابر وصامد لم يتأثر قط بالاعتقال ، ولم يحمل حقدا على أحد فهو دائما كبير ، وكبير القوم لا يحمل الحقد ، ولم نسمعه يتحدث بسوء عن رفاق الأمس الذين خانوه وغدروا به ، ولا يقبل أن يتحدث عنهم أحد أمامه ، فهو لم يتغير قط فى أى جانب من جوانب حياته ، لكن الحرية لا تُشترى بثمن فهو بالطبع فقد حريته ، والطبيعة الإنسانية لا تقبل مصادرة الحرية ، أما أسرته فقد فقدته أبا عطوفا وحكيما وراعيا حميما خصوصا أحفاده من الأطفال الذين يداعبهم ويعطيهم جزءا من وقته ، كما أن كريمته أشد تأثرا حتى أن اثنتين منهن أصيبت بالأنيميا لحزنهما المستمر وعدم انتظامهما فى تناول الوجبات .

● كيف يقضى الترابى يومه فى مقر إقامته الجبرية ؟

- كعادته يصحو مبكرا من نومه ، ويؤدى صلاة الصبح فى موعدها ويتلو القرآن ثم ينام نحو ساعتين ثم يصحو ويطالع الصحف ويتناول وجبة الإفطار ، ويشاهد المحطات الفضائية الإخبارية ، ثم ينكب على الكتابة لفترة طويلة قبل أن يرتاح بنوم قصير يتناول بعده وجبة الغذاء ، ويشاهد الأخبار ويقرأ بعض الكتب ثم يعود ثانية إلى الكتابة حتى وقت متقدم من المساء .. عموما هو يمضى معظم وقته فى الكتابة .

● ماذا كتب منذ اعتقاله ؟.. وماذا يعد حاليا ؟

- أعد خلال الفترة الماضية أربع دراسات الأولى عبارة عن مراجعات لمدة ١٢ عاما من حكم الإنقاذ والثانية عن أثر العبادات فى الحياة العامة ، والثالثة عن الجهاد والرابعة عن أحداث ١١ سبتمبر ونتائجها ، ويعد حاليا كتابا عن الحكم فى الإسلام .

● وماذا يطالع من الكتب ؟..

- لديه كتب فى التاريخ والفقه والفكر الإسلامي ويطلب أحيانا كتبا من مكتبته الخاصة ، ولا توجد رقابة على الكتب التي يطلبها .

● كان مقر إقامة الترابى يضج بالنشاط ويرتاده قادة حزبه ورموز الحكم وضيوف البلاد الزائرين من قادة دول ورموز إسلامية وعربية ، هل استمرت الزيارات بعد اعتقاله خصوصا من الإسلاميين ؟..

- يزورنا بصورة عادية وفى المناسبات غالبية الإسلاميين من تلاميذه ومختلف ألوان الطيف وأصدقائه ، ولم ينقطع عنا إلا الذين انشقوا عنه وآثروا الاستمتاع بالسلطة .

● وحتى الذين له أفضال عليهم ؟..

- نعم ، من تربوا على يديه فى الحركة الإسلامية ، وحرص على تصعيدهم وصاروا فى مناصب مرموقة ، ولم يبخل عليهم بشئ هم الذين آذوه وأساءوا إليه ، وقطعوا صلتهم به ، وما كنا نعتقد أن الوفاء صار سلعة نادرة لهذه الدرجة .

● من هم أكثر رموز الحكم حاليا الذين كانوا أشد ارتباطا بالترابى فى الماضى ؟

- النائب الأول للرئيس على عثمان محمد طه ومستشار الرئيس لشئون السلام الدكتور غازى صلاح الدين كانا يرتادان منزلنا بصورة دائمة وشبه يومية ، كان الترابى حريصا عليهما ويؤثرهما على سواهما من رجال حزبه.

● هل زاركم أي منهما أخيرا ؟

- سامحهما الله انقطعت صلتهما بنا .

الوسط اللندنية

بأقلامهم

مهداه إلى شهداء الانتفاضة

زفة السماء

فى زفة من المسجد الأقصى للسماء .
ملايكة الرحمن تحتفل بتانى إسراء .
وجواز شادية وعلى فـ العلاء .
وعلى راس المدعوين أمير الأنبياء .
وكاتب الكتاب أمين وحى السماء .
والصديق ، وعمر ، وخالد يباركوا البناء .
ومريم بتزين شادية زينة الصفاء .
والزهراء بتعطر الشهيد عطر السناء .
وكيل العروس الحسين أبو الشهداء .
وأخو العريس الرفاعى أمير الفداء .
وتورتة الفرح سبع سماوات ارتقاء .
والجنة نزلت لشادية وعلى بالهناء .
ورضى الله مالى الأكوان والفضاء .
وغنى داود فـ الفرح نشيد السماء .
انه لله وحده مجاهدون شهداء .

عبد الواحد الحسينى

هات القزازة

فى الأول من ابريل الماضى (وهذه ليست كذبة ابريل) نشرت جريدة الأهرام خبرا فى صفحة الشئون الدولية يقول إن إحدى الكنائس القبرصية عقدت مؤتمرا حول حوار الأديان والحضارات فى قبرص أواخر شهر مارس .. وأضاف الخبر أنه بعد انتهاء المؤتمر قام المشاركون فيه (والذين يفترضون أنهم يمثلون شتى الملل والنحل ومنها الإسلام طبعا) بقضاء سهرة حمراء فى بعض الملاهى الليلية حيث خاضوا وسط تلال من المزة والنبيذ ورقصوا طوال الليل .. واختتم الخبر بأن الصحف القبرصية علقت على هذا الأمر ، وهذا الخبر ليس فى حاجة إلى تعليق سوى الإشارة إليه باعتباره أحد الجوانب فى حكاية الحوار التى يكثر الحديث عنها ويقدمونها للناس على أنها هى الجنة الموعودة ..

هذه هى نوعية المشاركين فى تلك العملية وهذه هى إحدى اهتماماتهم وإن كان الاهتمام الرئيسى يظل هو النقود والشهرة واجتلاب المناصب الدينية .. ونذكر فى هذا الصدد أن أحد الكتاب الإسلاميين الثقات كان قد كتب مقالا منذ بضعة أشهر تحدث فيه عن زيارة وفد من مسلمى بريطانيا جاءوا إلى مصر لكى يقنعوا المصريين بفضائل الإسلام البريطانى

د. محمد يحيى

المتحرر جدا ..

وقد اختتمت زيارتهم بحفلة فى السفارة البريطانية تبادل المدعوون فيها أنخاب النبيذ .. وهكذا يبدو أن الخمر والرقص قد أصبحا أحد مكملات الحوار الدينى الأساسية ، وليس فى هذا غرابة إذا كانت إحدى النائبات المعينات فى مجلس الشعب لأنها فى جماعة اللوبى النسائى العلمانى قد أفتت بتقديم الخمور ولحم الخنزير لمن اسمتهم ضيوف مصر من الأجانب ، وهى لم تكن تقصد السياح فقط كما قد يتبادر إلى الذهن بل كانت تقصد الزوار الرسميين للدولة ، وكأن هؤلاء لم يأتوا إلى مصر إلا لكى يشربوا الخمر ويأكلوا لحم الخنزير .. أى أن النائبة تريد من الدولة المصرية المسلمة أن تخرق كبائر المحرمات فى الإسلام بتقديم الخمر والخنزير بالعافية إلى الأجانب وغير المسلمين .

ومما يضحك ويبكى أن نائبة مسيحية فى مجلس الشعب استنكرت موقف هذه النائبة المعينة على رأس كلية أسموها بدار العلوم بالفيوم بعد أن ألغوا اسمها القديم وهو كلية الدراسات الإسلامية فى إطار عملية التبرؤ من الإسلام ، وقالت النائبة المسيحية : لا تدعوا إلى شرب الخمر ..

ومن الطريف كذلك أن أحد الكتاب المسيحين كان قد احتج فى مقال كتبه منذ أشهر على تصوير المسيحيين فى مسلسلات التليفزيون على أنهم يشربون الخمر فى كل وقت .

وهكذا فإن اللادينيين فى مصر (ومنهم العلمانية الموصوفة بالفيلسوفة الإسلامية) يتلاعبون بالوحدة الوطنية فى سبيل تحقيق غرضهم فى إسقاط المحرمات الشرعية .

إنهم يدعون أنهم إنما يريدون إباحة الخمر ولحم الخنزير لأن هذه أمور لا يستغنى عنها غير المسلمين من المصريين والأجانب ، وكأن الأقباط مثلا لا يفيقون من الخمر ولا يتوقفون عن أكل لحم الخنزير .

وهذا التقرير يغضب المسيحيين ويهدد الوحدة الوطنية لكن اللادينيين لا يهتمون لأن كل ما يهمهم هو تحليل المحرمات وإسقاط الشريعة .. إنهم وصلوا إلى حد الدفاع عما هو محرم قطعيا فى الإسلام وفى الشرائع الدينية السابقة التى يتشدقون بها فى ظل الحوار الدينى المزعوم .

إننا فى الحقيقة نواجه مهزلة غريبة عندما

يصل نبأ الحوار الدينى المزعوم ، وتصل بنا اللادينية زاعمة التجديد الدينى إلى إباحة المحرمات وهو ما لم يجرؤ على فعله حتى أعتى عتاة الكفار وأعداء الإسلام .

فلسطين

فى المجزرة الإسرائيلية ضد فلسطين وفى وسط صمت رسمى مريب ومثير ، ووسط دعاوى فى نفس الوقت بأن البعض يبذلون جهدهم لإنقاذ الفلسطينيين رغم عدم صدور أى نتائج عن هذه المحاولات الوهمية صدر تصريح أو قول ملأ الصحف الرسمية والإعلام .. يقول هذا الزعم الذى نذكر أنه صدر وسط ضرب الفلسطينيين إن اسحاق رابين أبلغ الحكومة المصرية بأن إسرائيل هى التى خلقت حركة حماس الفلسطينية لكنها ندمت على ذلك فيما بعد .. وهذا الكلام هو ببساطة طعنة غادرة فى الظهر لمن كانوا فى نفس يوم صدور التصريح يضربون فى تل زبيب .

ومع ذلك فلنناقش هذا القول رغم سخافته .. من قال إن اسحاق رابين هو قديس أو ملاك حتى نصدق أقواله ، ثم من قال أن اسحاق رابين قد أبلغ الحكومة المصرية بذلك لاسيما وأنه الآن فى جهنم أو فى حفرة من حفر النار على أفضل الأحوال انتظارا ليوم الحساب ، ثم كيف تُنشئ إسرائيل حركة إسلامية ثم تعود لتندم على إنشائها لأنها انقلبت ضدها .. ألا يوجد لدى إسرائيل أو المخابرات الإسرائيلية أية وسيلة للتحكم فى الحركات التى ينشئها لأغراضها ؟.. أن أنهم قد فتحوا تكية خيرية لإنشاء الجماعات الإسلامية ثم تركها لتضربهم بعد ذلك براحتها .

هذا الكلام لا يعقله عاقل ، لكن هدفه الوحيد التشكيك فى حركة حماس وسائر الحركات الإسلامية فى فلسطين لغرض فى نفس العلمانية الصهيونية المحلية .. والغريب أنه فى أعقاب هذا التصريح مباشرة شنت بعض الأقلام المشبوهة حملة ضد مؤسسى حماس الشيخ أحمد ياسين بحجة غريبة كاذبة تقول : إنه رفض قيام الفتيات الفلسطينيات الاستشهاديات بعملياتهن على أساس أنه ليس معهن محرم وبالطبع لم يقل الشيخ ياسين هذا الكلام ولكن أحد المأجورين أراد من خلال هذه الأكذوبة التشكيك ليس فقط فى حماسة الشيخ ولكن أيضا وأساسا فى مفهوم المحرم بالنسبة للمرأة المسلمة .

وهذه الأحداث المأجورة التى هاجمت حركة حماس فعلت ذلك لأن حركة حماس ومعها سائر الحركات الإسلامية تجاهد بينما هم يدعون فى الإعلام ليل نهار إلى عدم الجهاد على أساس أنهم غير مستعدين لإسرائيل ولا

يريدون أن ينجروا إلى حرب فى الزمان والمكان الذى تحدده إسرائيل ولكن منذ متى كانت الجيوش المحاربة أو المدافعة تختار زمان ومكان وظروف الحرب التى تخوضها ، أما عن حكاية الاستعداد فمن المفترض أن الجيوش الحديثة المحترفة هى على استعداد طيلة الوقت ولهذا تُنفق عليها الأموال الطائلة من ميزانيات الدول ، وكان من المتوقع على الذين تقاعسوا عن الجهاد أن يكفوا أذاهم عن الناس لا أن يوبخوا المجاهدين ويسخروا منهم ويكذبوا عليهم .

الدكتورة درية

فى تصريح للدكتورة درية شرف الدين (رئيسة قطاع القنوات الفضائية للتليفزيون المصرى) لجريدة الأهرام فى ٢٠ ابريل جاء فيها ترفض مسألة أن يكون العرب دائماً فى موضع دفاع أمام الغرب ويثبتون مواقف انهزامية وكأنهم مذنبون ومتراجعون ، وأضافت : إننا لدينا جوانب جيدة وأخرى سلبية وهم كذلك وهذه هى طبيعة الأمور ولا داعى للاعتذار .. وهذا الكلام جيد ويزيد من تميزه أنه يصدر عن سيدة تتولى منصبا مهما فى الإعلام الرسمى الذى يجسد وبالذات من خلال الصحف المواقف التراجعية الانهزامية الانبطاحية أمام الغرب وأمام كل ما يأتى منه وهذا الموقف من الدكتورة درية هو بالضبط ما دعا ويدعو إليه الفكر الإسلامى الذى يرفض هذه الأيام عملية الانهزام الصارخ أمام الغرب تحت مسمى تحسين الصورة (وهو بالمناسبة ما دعت الدكتورة درية إلى التوقف عنه) ، لقد زادت مسألة الانهزامية أمام الغرب إلى حد مهين ومذل ، وأصبح الإسلام وعلى يد من يفترض أنهم منتسبون إليه وكأنه موضوع فى قفص الاتهام ويقف كمذنب إلى أن تثبت براءته ، وهى لن تثبت أبداً إزاء تيار الاتهامات الجارف القادم من الغرب ، ولقد وصلت العملية ، وكما قلنا هنا مراراً إلى حد أننا أصبحنا نجد المؤتمرات تُعقد يومياً تقريباً فى الأزهر وشتى الهيئات الإسلامية لا للبحث فى أمور المسلمين ، بل فقط لما يُسمى بتحسين الصورة والرد على الاتهامات الغربية المتواصلة وكأن الإسلام بالفعل تحول إلى تهمة ولم يعد له من محامين إلا الموظفين الرسميين والعلمانيين ، لقد اختفى أى وضع أو طرح إيجابى للفكر الإسلامى ولم نعد نسمع سوى الفكر الدفاعى الانهزامى الانبطاحى الذى لا دور ولا معنى له سوى الخنوع والتراجع وتعديل وتبديل ولوى عنق الإسلام لكى يصبح مجرد نسخة أخرى من مذاهب الغرب وتصوراته حول العقائد والأديان والقيم الروحية والاجتماعية .

انقلاب فنزويلا

أمريكا مازالت تعطى للعالم الدروس فى السلوك الديمقراطى القويم وتدعى أن لها حجة على العالمين وسبق بعطيها الحق فى هذه الدروس وفى التعالى والغرور وفرض الرأى ثم محاربة كل من يختلف معها على أساس أنه إرهابى ، ولكن أمريكا هذه التى تعلن الحرب على الإسلام فى كل مكان تحت راية الإرهاب المزعوم تم كشفها وفضحها فى أغرب مكان وأقرب مكان لها وهو فنزويلا ، ذلك لأن زعيمة العالم الديموقراطى الحر المزعومة (حسب تسمية شارون لها) قد ضُبطت متلبسة بالقيام بانقلاب عسكرى ومدنى صريح ضد الحكومة الفنزويلية المنتخبة انتخاباً حراً شعبياً ، والسبب وراء الانقلاب هو رغبة أمريكا الحرة التقية الورعة الديموقراطية جداً فى وضع حكومة عميلة تماماً لكى تضمن استمرار تدفق البترول الفنزويلى إلى أمريكا بأبخس الأسعار ودون أى مطالبة حتى بمجرد سعر عادل ، هذا هو السر الذى انكشف وراء الانقلاب العسكرى الفاشل الذى وقع لفنزويلا فى أواسط ابريل الماضى، والذى سقط بعد ساعات معدودة ، لقد تبين أن ضباطاً أمريكيين من الموجودين فى قواعد بفنزويلا أو ضمن فرق التدريب والخبراء المزعومين قد قاموا بإعداد الانقلاب واختاروا الضباط الفنزويليين الذين قاموا به ودفعوا الأموال لهم ولرؤساء بعض نقابات العمال الذين ساندوهم ... هذه هى أمريكا ، ولكن الخطير فى الحكاية هو الدور الذى تقوم به هذه البعثات الأمريكية العسكرية التى يبدو أنها تستهدف اختيار وفرز العناصر العسكرية فى البلاد التى تعمل بها والتى يمكنها القيام بانقلابات عندما يُطلب منها ذلك ، ومن ثم لا يجب الثقة فى أمثال هؤلاء وينبغى الحذر منهم لأنهم سوف ينقلبون على من يتصورون أنهم يساندونهم ، والخلاصة فى حكاية فنزويلا أنها كانت فضيحة وكبسة بل ووكسة للسياسة الأمريكية التى تريد لعب دور الفتوة فإذا بها فى فنزويلا تتحول إلى عيل عبيط ، ولكن هذه هى المأساة ، لأن أمريكا لاتنكشف إلا فى بلاد الخواجات الذين لديهم عزة نفس وكرامة أما فى بلاد الأنظمة الإسلامية فإن أحداً لا يقاوم أمريكا ولايكشفها !!..

لماذا قتل مسعود ؟

أصبح الآن واضحاً لماذا قتل أحمد شاه مسعود الزعيم الأفغاني صاحب السوابق النضالية ضد السوفيت ، لقد اتهم الغرب الطالبان بقتل مسعود الذى اغتيل فى ظروف غامضة كما هى العادة قبل عملية نيويورك وواشنطن بأيام قليلة ، ولكن أصبح من الواضح على ضوء التطورات التى حدثت وحتى الآن أن الجهة التى اغتالت مسعود كانت تعرف حقائق معينة وتريد تحقيق أهداف معينة ليست هى ما تعرفه الطالبان ، ولا ما تريد الطالبان تحقيقه ، هذه الجهة التى اغتالت أحمد شاه مسعود وكانت تعرف أن عملية أمريكا ستحدث بعدها بأيام وأن هذه العملية سوف تتبعها توجيه التهمة مباشرة إلى الطالبان وجماعة أسامة بن لادن ثم يتبعها غزو أمريكى غربى لأفغانستان تتبعه إنشاء حكومة عميلة برئاسة وعضوية عملاء أقحاح لا شك فى عمالتهم ومدى خضوعهم لإدارة أمريكا عدة عقود قادمة ، وهنا يأتى اغتيال أحمد شاه مسعود .

إن مسعود كان المرشح الطبيعى لقيادة أى تحرك أفغانى الوجه ضد حركة الطالبان وجماعة بن لادن ، ولكنه مهما بلغت درجة تمشى مسعود أو حتى عمالته لأمريكا فإنه لم يكن لينسى سوابق نضاله أو شعبيته مما يجعله فى مرحلة ما يرفض أن يكون مجرد التابع الذليل لأمريكا ، وهذا هو ما تعرفه أمريكا جيداً وترفضه ، إنها لم تكن تريد لرئاسة أفغانستان الأمريكية أى وجه أو زعيم له سوابق نضال جهادى أو شعبية أو زعامة أو تاريخ حتى ولو كان هذا الوجه مستعداً للتمشى معها ، ومن هنا نُحيت زعامات كثيرة بل اختفت وطوردت كما حدث مع حكمتيار وعبد رب الرسول سياف وغيرهم مثل برهان الدين ربانى وحتى الشيوعى الهزيل دوستم .

إن أمريكا التى كانت تخطط للوجود فى أفغانستان منذ سنوات طويلة كانت تريدها وجوهاً جديدة للحكم فى تلك البلاد واضحة وصريحة العمالة لا لبس فيها وكذلك وجوها ضعيفة ليس لها سابق نضال أو زعامة أو إسهام وطنى حتى يسهل التحكم فيهم ولا يتمردوا ولا يجرءوا على التمرد والمقاومة أو حتى مراجعة أسيادهم الأمريكان ، لأنه ليست لديهم أدنى مقومات المقاومة أو المراجعة ، هكذا فإن مقتل أحمد شاه مسعود الذى جاء غامضاً غموض عملية أمريكا المشبوهة يكشف ويدل بوضوح على أن الجهة التى قامت بالعمليتين هى واحدة وهى لاتخرج عن جهة أمريكية صهيونية .

وهناك دليل آخر

بجانب عملية اغتيال أحمد شاه مسعود فإن هناك دليلا قديما يكشف عن الجهة التى دبرت عملية أمريكا ثم استغلتها كورقة تبرر بها كل ضرب للتيارات الإسلامية ، بل للإسلام ذاته على طول وعرض العالم ، وهذا الدليل هو وصول رئيس باكستان الحالى إلى الحكم منذ حوالى العامين قبل العملية الأمريكية المشبوهة .

إن وصول هذا الرجل إلى الحكم جاء عقب انقلاب غامض غير مبرر وبدون أى مناسبة سوى زعم مضحك بأن رئيس الوزراء الباكستانى المنتخب كان قد تآمر لإسقاط طائرة رئيس الأركان وهى فى الجو ، لكن رئيس الأركان هذا نزل بسلام فى مطار آخر ثم خرج من ذلك المطار فى منتصف الليل ليقود حفنة من العساكر فى انقلاب لم يكن له سبب مُعلن سوى هذا السبب الفكاهى والمشكوك فيه ، وعندما جاء رئيس الأركان هذا إلى الحكم نغم ببضع كلمات عن الفساد ، لكنه سرعان ما سكت عنها ثم همه وسياسته الأولى إلى إلغاء التعليم الدينى الإسلامى فى باكستان بحجة أنه متخلف ، ولابد أن نذكر أن هذا التحرك الغربى ، وهو الذى جعل السياسة الأولى والأولوية القصوى إلغاء التعليم الدينى جاء قبل أحداث أمريكا بحوالى العام والنصف وجاء قبل الحديث المتكرر الآن حول إلغاء التعليم الدينى بحجة أنه هو سبب الإرهاب الإسلامى الذى أدى إلى أحداث أمريكا .

وهذا يدل بوضوح على حقيقة الهدف الذى جاء من أجله هذا الرجل الذى يرأس باكستان لقد أعلن عن الوجه العلمانى التابع للغرب وأمريكا قبل ما يقارب العامين من أحداث أمريكا التى استخدمت ذريعة لتبرير ضرب الإسلام والتعليم الدينى ، إنه بعد أحداث أمريكا أخذ يتحدث عن ضرب ما أسماه بالتطرف والرجعية الإسلامية ، كما أخذ يتحدث عن إعجابه بالعلمانية وعن ضرورة إصلاح الإسلام وإلغاء الأحزاب والمدارس الدينية ..... إلخ . وكان هذا الحديث الأخير يبدو مبرراً بأحداث أمريكا فى الحادى عشر سبتمبر عام ٢٠٠١ ولكن نسى الجميع أن هذا الرجل بالذات تحدث عن إلغاء التعليم الدينى والعلمنة وضرب التيارات الإسلامية قبل زمن طويل من أحداث أمريكا مما يعنى أنه قد جاء على يد جهة كانت تريد وتهدف (كما هى الحالة فى حادثة مسعود) إلى ترتيب وإعداد مسرح العمليات كما يقول العسكريون قبل القيام بعملياتها لقد واصل رئيس باكستان الحالى بعد أحداث سبتمبر القيام بالدور

المعهود له فأسلم زمام الرادع النووى الباكستانى إلى الأمريكان ووضع زمام السياسة الباكستانية الأمنية والسياسية الخارجية فى يد القيادة الأمريكية مما أدى إلى إضعاف البلاد وتحولها إلى دولة من الدرجة الثالثة أو العاشرة دون أن يؤدى ذلك إلى أية مكاسب تحققها باكستان حتى فى مجال كف أذى وتهديد الهند عنها ، لا بل فقد زاد التحرش الهندى بعد أن تأكدت نيودلهى أن قوة باكستان العسكرية والنووية قد أصبحت تحت السيطرة الأمريكية وأصبح قرار ذلك البلد مرهوناً فى يد العسكرية الأمريكية ، ووصل مسلسل التدهور الباكستانى إلى حد أن سمعنا عن تسليم اللاجئين الأفغان إلى عسكر أمريكا لكى يقوموا بتعذيبهم

وسجنهم كالحيوانات دون حقوق تمهيداً لمحاكمات عسكرية شاذة تخالف كل حقوق الإنسان ، بل وسمعنا عن قيام العسكر الأمريكان بالتجول فى أنحاء باكستان بدون إذن أو مصاحبة أو حتى معرفة من جانب السلطات المحلية كى يفتشوا عن المجاهدين الأفغان والعرب والباكستانيين ويلقوا القبض عليهم دون أن يكون للسلطات المحلية صاحبة البلد فيما يفترض أى رأى أو حتى دور فى العملية ، ومما زاد فى الإهانة تصريح لبعض قادة الجيش الأمريكى وليس حتى الساسة الأمريكيين) بأنهم لايريدون للسلطات الباكستانية أن تشترك معهم فى العمليات التى يقومون بها ضد الإسلاميين الأفغان والباكستانيين لأنهم لا يثقون فى هذه السلطات بل ويعتبرونها متواطئة مع الإرهاب وهكذا فإنهم يشتمون حتى أنصارهم وأتباعهم الذين جاءوا بهم هم فى الانقلاب الغامض ، وهكذا فإن هذا الانقلاب المشبوه والأشخاص الذين أفرزهم يدعون بوضوح وبطبيعة سياساتهم المتسقة مع سياسات أمريكا فى الأشهر الأخيرة على أنهم قد جلبوا إلى الحكم قبل الأحداث الأمريكية فى إطار عملية إعداد مسرح العمليات قبل الحرب المزعومة على الإرهاب ، إنها عملية تشبه تماماً ما حدث فى حكاية اغتيال أحمد شاه مسعود وتدل على حقيقة من دبر ونفذ العملية الأمريكية .

الانتفاضة الفنية !

عندما ثار الشارع العربى والمصرى وانتفض دفاعاً عن فلسطين وتضامنا معها وكشفاً لتخاذل الأنظمة ودعوة للجهاد من أجل فلسطين وضد العدوين الصهيونى والأمريكى شعر البعض بأنهم على شفا الانهيار والضياع وبدأت عملية النفاق واسعة وذكية على الانتفاضة ، واتخذت عدة أشكال كان أبرزها هو فرض ما يمكن أن يُسمى بالطابع الفنى على الانتفاضة إذ سرعان ما تحولت انتفاضة الشعوب دفاعاً عن فلسطين ومن خلال الإعلام الرسمى إلى انتفاضة فنية رمزية احتفالية بمعنى الكلمة .. وجاء ذلك عبر استخدام رموز معينة سرعان ما تحولت إلى نوع من الموضة الشيك مثل ارتداء الكوفية الفلسطينية أو تحويل القضية الشعبية إلى قضية فنية بطوفان من الأغانى الحزينة المولولة التى حولت المسألة إلى مناحة منكرة بدون أى أمل ، وكيف يكون هناك أمل وقد أفتى حكماء بنى صهيون وبنى الغرب وبنى العلمانية المقيمون بين ظهرانينا أنه لن يكون هناك أى حل أو مخرج إلا باللجوء إلى البيت الأبيض الذى أعلن منذ البداية أنه مع إسرائيل قلباً وقالباً وحتى النهاية وعلى طول الشوط والمدى وترافق مع هذه الولولة الفنية نزع الطابع السيسى والدينى والوطنى والقومى عن الانتفاضة الشعبية ، وسمعنا فى هذا الصدد الأخير حجج غريبة ومنحطة أبلى فيها العباقرة الاستراتيجيون بلاءهم الانهزامى المعتاد ، قالوا إن البعد السياسى للانتفاضة التى حدثت فى الشارع العربى والمصرى هو طابع مضاد للأنظمة والحكام لأنه طالب بالحركة والنضال أو التغيير ، والتغيير (أى تغير الأنظمة) هو ما تطالب به إسرائيل لأن هذه الأنظمة الرائعة هى التى تتعب إسرائيل (ولا يدرى أحد كيف ومن تتعب الأنظمة إسرائيل اللهم إلا فى الأحلام وأفلام الخيال العلمى) ، وهكذا فإن البعد السياسى لانتفاضة الشارع قد استبعد على أساس أنه خيانة وطنية لمجرد أنه طالب الأنظمة بالتحرك وألا تترك المجال لغيرها لكى يتحرك ، ثم رفض البعد الدينى لتحرك الشارع العربى والمصرى عندما قال الحكماء أن القضية الفلسطينية وبالذات العدوان الإسرائيلى الأخير لا علاقة له بالإسلام والدليل على ذلك أن الصهاينة حاصروا كنيسة المهد (وبالطبع نسوا تدمير المساجد وتدنيس المسجد الأقصى الذى أشعل الانتفاضة منذ البداية والذى كان الطلقة الأولى فى العدوان الإسرائيلى) ، وسرعان ما سُلطت الأضواء الإعلامية على كنيسة المهد

وحدها وعلى نشاطات الكنائس المحلية والعربية في تأييد الانتفاضة في وقت نسي فيه المسيحيون الغربيون موضوع الكنيسة بأسره ، وتحولت القضية إلى قضية مسيحية حتى رأينا الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مصر هي الوحيدة التي تجرؤ وتستطيع عقد مؤتمرات حاشدة لتأييد الانتفاضة وإدانة العدوان الإسرائيلي في وقت سكت فيه الأزهر سكوتاً غريباً وبليغاً ومريباً ، كذلك سرعان ما تحولت انتفاضة الشارع المصري بالذات عند دهاقنة العلمانية والإعلام الرسمي إلى انتفاضة فاقدة ومنزوعة من الطابع الوطني والقومي عندما سارعوا في خسة لا يُحسدون عليها إلى اتهام الطلبة المتظاهرين (في أحداث الإسكندرية وقبلها في جامعة القاهرة) بأنهم مخربون أتلفوا ودمروا الممتلكات العامة وأنهم سمحوا للمخربين (من الإسلاميين فيما يُفترض) بالاندساس في أوساطهم لتحويل الانتفاضة الشعبية عن أهدافها النبيلة .

ولكن ما هي هذه الأهداف النبيلة للانتفاضة الشعبية والهبة الشارعية .. إنها حسب ما قال الاستراتيجيون وأسيادهم مجرد الغناء والإنشاد تأييدا لشعب فلسطين ثم البكاء عليه والعويل بعد ذبحه مع ترك الأمور المهمة من سياسة وتحرك للسادة الرسميين أصحاب الحق الإلهي وحدهم في التصرف في كل الأمور ، أما الدعوة إلى التغيير والتحرك لسرعة إنقاذ الشعب الفلسطيني والدعوة إلى الجهاد وإدانة أمريكا والمطالبة بمواقف جذرية ضدها وضد إسرائيل .. فهذا كله رجس من عمل المخربين المندسين وهو تحويل للانتفاضة الشعبية عن هدفها ، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف فرضت مجموعات من الفنانين والمطربين والممثلين على رأس أولويات وبرامج ونشاطات الإعلام الرسمي والتجمعات لكي تقوم بالشئ الوحيد الذي يتقنه الممثلون (فيما يفترض) ألا وهو التمثيل - أي التمثيل على الشعب بادعاء الحزن والبكاء والعويل على الشعب الفلسطيني ثم التظاهر بأن السبيل الوحيد الممكن والفعال للتضامن في مثل هذه الأحوال هو لبس الكوفية وإطلاق الأناشيد ولبس الملابس السوداء ثم الظهور على الشاشات وفي الاحتفالات بوجوه مكفهرة وعيون براقة وجاحظة ... إلخ .

باختصار شديد ، لقد سُرقت الانتفاضة الشعبية والشارعية العربية والمصرية ونُزع عنها الطابع السياسي الثوري الديني الإسلامي والوطني والقومي وتحولت إلى عملية مسرحية يقودها الممثلون والفنانون لا مضمون لها سوى الأناشيد (غير الحماسية طبعاً خشية إثارة المشاعر الوطنية) ثم الانصراف بسلام وترك السادة يتصرفون .

الغباء المريب !!

محطة تليفزيونية لبنانية يُقال أن مالكيها لهم علاقات عربية دأبت فى الفترة الأخيرة على إظهار الحماس المريب والشديد للانتفاضة الفلسطينية وجمع التبرعات لها لكن هذه المحطة فاجأت شاهديها ذات مرة منذ حوالى الشهرين بإذاعة فيلم أمريكى بعد برنامج ملتهب حماساً للدفاع عن فلسطين ، وإلى هنا وقد يبدو الأمر عادياً فالجميع على مايبدو لايستطيعون الاستغناء عن الأفلام الأمريكية لكن المفاجأة المذهلة هى أن الفيلم المذكور كان دفاعاً شديد الحماس والانفعالية عن الشذوذ الجنسى وبوضوح وصراحة لا متناهية! فهل هذا هو الذى يمول تبرعات المحطة للقضية الفلسطينية ؟.. كل شئ جايز فى هذا الزمان أم أن الحكاية هى مسألة غباء من جانب تلك المحطة وشقيقتها التى يُقال إنها تابعة لرئيس الوزراء اللبنانى ، أو بالأصح لشركاته ، والتى دأبت هى الأخرى بعد البرامج الحماسية دفاعاً عن فلسطين على إذاعة برامج حفلات غنائية راقصة من مصر تشارك فيها الفنانات والراقصات المصريات مع اللبنانيات والجميع فى غاية التعرى والخلاعة والمجون إلى درجة فاقت الحد ، فهل هذا هو دور هذه المحطات ياترى للذين يحاولون تسويقه من خلال ذر للرماد فى العيون ببعض برامج التعاطف أو مظهريات التبرع .

سيناء

رفضت الحكومة هذا العام اعتبار رأس السنة الهجرية إجازة رسمية لكنهم ، وهذا العام أيضا حولوا عيد تحرير سيناء فجأة إلى عطلة رسمية وهللوا لها ووقفوا عليها برامج الإعلام ليل نهار وروجوا للخطب الرسمية ، فما هى الحكاية ؟.. إن عدم اعتبار رأس السنة الهجرية عطلة رسمية يتمشى مع سياسة العلمنة وتنحية الإسلام ، أما الاحتفال المسرف والمبالغ فيه ولأول مرة بعيد تحرير سيناء فهو متعلق بالأوضاع الفلسطينية وبالإلحاح على الرسالة المعروفة وهى خيار السلام الأبدى الذى يستبعد المواجهة لأى سبب وهو كذلك محاولة للتغطية على ماحدث فى صمت تام وفشل فى تحريك الصديق الأمريكى ليفعل شيئاً وهو عندما تحرك فاجأ مختلف أصدقاءه بأن طلب منهم النشاط لمكافحة الإرهاب ، وأن عليهم أن يشاركوا فى ضرب الإرهابيين الفلسطينيين وغير الفلسطينيين ، وعلينا أن ننتظر لنرى كيف سيكون الاحتفال بعيد تحرير سيناء العام القادم .

التفاهة ..

بينما كان الجميع منشغلين بتطورات الأزمة أو بالأصح الجريمة فى فلسطين فوجئ الناس بقناة تليفزيونية فضائية حكومية (هى قناة نفرتيتى) ومعها قناة فضائية شبة حكومية (هى قناة المحور) تقدمان برنامجاً ذا مضمون واحد فقط شغل فترة ساعة من الإرسال فى القناة الأولى وأكثر من ذلك فى القناة الثانية وهذا البرنامج تناول بالمناقشة المستفيضة فى القناتين مؤكدين على أنها قضية العصر بلا منازع ألا وهى قضية حق الفتاة فى الخروج والتصرف على حل شعرها مثلما يخرج الفتى ويتصرف على حل شعره ، وأصبحت هذه القضية هى الشاغل الأوحد للأجيال الصاعدة وهى الهم الأوحد الذى لا يعلو على صوته أى صوت آخر وفى البرنامجين بدا المذيع والمذيعة فى غاية الهم والاهتمام بحكاية تحرير خروج الفتيات من البيت دون رقابة أسوة بالفتيان كما زعموا وتواصلت الحكايات المروعة والمأساوية حول فتيات ذكرن فى الاستوديو أو على التليفون أنهن تعرضن لوحشية عدم الإذن بالخروج بدون إذن كالفتيان وسادت موجة من الحزن والأسى على التخلف الذى نعانى منه ولولا ضيق الوقت لطلبوا فتوى عاجلة من أحد المجتهدات تدعو إلى اعتبار خروج الفتيات بدون إذن لقضاء السهرات خارج المنزل من أركان الإسلام الأمريكى الجديد .

هذا هو ما كان يشغل البعض وسط ذبح الفلسطينيين ، أما ما كان يشغل البعض الآخر فى الصحف وفى نفس التوقيت فكان الهجوم البذئ والقذر على عالم أزهرى جليل من بقية السلف الصالح صدع بالحق ورفض السير فى ركاب هوجة التزييف والتبرير والتحلل من بعض فتاواه ، وهنا انطلقت أبواق السفالة العلمانية تتهم الرجل بما لم يقله وبرسم الكاريكاتير سخرية منه .

وهنا نذكر بأنه عندما كتبت إحدى الصحف تتهم قسيساً بالفجور والفسق والدجل ثارت الكنيسة والطائفة كلها وقامت القيامة وخرجت المظاهرات إلى الشوارع وارتعشت الدولة وقبضت على الصحفى وأوقفت جريدته وسجنته رغم أنه رجلها وكم شُتم لها من مسلمين علماء أفاضل .. أما الشيخ العالم الأزهرى فلم يجد من يدافع عنه من الأزهريين الذين اختفوا من الساحة بل وقف بعضهم شامتا لأن الشيخ الجليل كان يفوقه فى العلم وفى حب الناس وفى المصداقية التى لا يوجد منها عند هؤلاء ، أما البعض الثالث فقد انشغلوا خلال مذابح الفلسطينيين وانشغال الناس بها بممارسة الهواية القديمة فى القبض على التنظيمات المزعومة والوهمية التى

اتخذت هذه المرة شكلا غريبا يتوافق مع مقتضى الحال والحرب الدولية على الإرهاب .

فهذه المرة جاء اسم جديد لم يُستعمل منذ ثلاثين عاما كما كانت التهمة الموجهة إلى المقبوض عليهم أنهم كانوا يعقدون اجتماعات لدراسة أحوال وأوضاع الأمة الإسلامية .. إذن لا يوجد إرهاب ولا تطرف ولا قلب نظام الحكم ولا يحزنون ، ولكن اجتماع لا للخوض في سيرة الناس ولا لصنع القنابل الحارقة وإنما لتدارس أحوال الأمة .

طيب ومناص الجريمة هنا لا يوجد ولذلك أضيفت تهمة جديدة هي حيازة أجهزة كمبيوتر .. وهذه هي التهمة الخالدة بالطبع حيث أصبحت عادة الإرهابيين والإخوان هي تخزين المعلومات على الحواسب تمشيا مع العلم الحديث .. هذه هي بعض المشاغل التي سنحت للبعض في خضم المذابح ضد الفلسطينيين .. وقد أصر هؤلاء على أن يزاولوا العمل كالمعتاد سواء في الدعوة إلى التحرر للمراهقات أو سب المشايخ المسلمين أو القبض على الكمبيوتر !!..

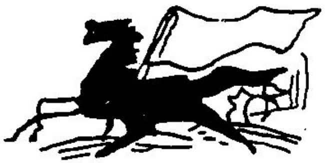

أمريكا

الكذب والتضليل والخداع الأمريكي سريع الانكشاف ، فعندما وقعت حادثة سبتمبر هولوا من أعداد القتلى في البرجين بنيويورك ووصلوا في الساعات الأولى وحتى الأيام الثلاثة الأولى إلى رقم ٢٥ ألف ثم أخذ العدد يتراجع ، وكلما تراجع العدد كلما فرضوا التعتيم على المسألة إلى أن وصل العدد بعد خمسة أشهر إلى حوالي الألفين والنصف منهم أكثر من ألفين من المفقودين .

وبعد ستة أشهر هبط العدد إلى أقل من ٢٠٠٠ ومنهم كذلك أكثر من ألف ونصف من المفقودين .. وهؤلاء المفقودون لهم حكاية غريبة وهي أنه في مدينة كبيرة مثل نيويورك يُفقد المئات كل يوم لسبب أو لآخر ، ويبدوا أنهم أضافوا أسماء المفقودين من محاضر الشرطة إلى مفقودي البرجين لكي يصبح العدد في الليمون .

ويتواصل انكشاف التضليل فينشر صحفي وكاتب فرنسي كتابا يسميه "الخدعة المخيفة" تنشر الأهرام مقتطفات منه وتلخيصا بأن له شكوكا حول عملية نيويورك ، ووصفها بأنها عمل داخلي قامت به دوائر أمريكية في صورة انقلاب داخلي ، ويذهب هذا الكاتب

إلى أنه لم يكن هناك على متن الطائرات المختطفة أى مختطفين بل إن هناك جهة قادت هذه الطائرات إلى أهدافها بواسطة أجهزة معقدة للتحكم على بعد ، وهكذا فشيئا بعد شئ تتضح الحقائق أو على الأقل تحيط الشكوك بالعملية التى تستخدمها أمريكا وسوف تظل تستخدمها إلى الأبد فيما يبدو لتبرير هجومها على الإسلام ، والواقع أن الأمر لا يحتاج إلى كل هذه الشكوك لأن الجهة التى دبرت العملية وهى الدوائر الأمريكية الانقلابية والتيارات الصهيونية والماسونية والصليبية المتحالفة معها فى الداخل والخارج كانت قد كشفت بسهولة عن نفسها عندما بادرت وبعد ساعات قليلة من العملية إلى الإعلان عن حربها المتدة ضد الإسلام والمسماة بالحرب ضد الإرهاب .

وسوف تنكشف مع الوقت سائر الأوراق ، ولعل ما قامت به هذه الجهة مؤخرا فى دسها لأشرطة مزعومة سجلتها بعض من تدعى أنهم منفذو العملية هو الدليل الأكثر وضوحا

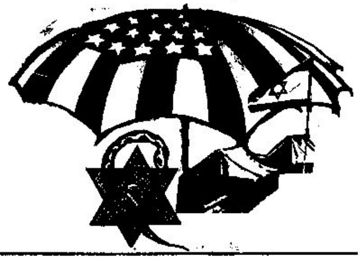

على شعورهم بالارتباك والخوف من الانكشاف فسارعوا بتغطية آثارهم ووقعوا مع ذلك فى المزيد من التخبط .

ولكن السؤال المهم الآن ليس هو فى انكشاف أمريكا ودوائرها الانقلابية التى نفذت العملية لتحقق استراتيجية واسعة من التوسع والعدوان فى بلدان المسلمين ، إنما السؤال الأكثر أهمية هو : لماذا يستمر البعض هنا فى التصرف والعمل وفق المخططات المستهدفة من العملية المشبوهة ؟.. وبمعنى آخر لماذا تستمر هوجة الخروج بإسلام أمريكانى متغرب متعلمن ، وهى الهوجة التى دبرت لها وترعاها أمريكا تحت حجة أن هذا الإسلام العلمانى مطلوب لمكافحة الإرهاب وتجفيف منابعه ؟..

إذا كانت هناك الآن دوائر فى الغرب وفى أمريكا ذاتها تشكك فى العملية فلماذا نستمر نحن أو بالأخص البعض فى الداخل فى تنفيذ أهداف هذه العملية من الهجوم على الإسلام ومحاربته تحت شعارات مختلفة ليس آخرها ولا أولها حكاية تجديد الخطاب الدينى التى يُراد بها حقيقة إلغاء المصطلحات والتعبيرات الإسلامية الأصيلة والمرتبطة ارتباطا جذريا بالعقيدة والشريعة وإحلال تعبيرات علمانية مستحدثة بل ومسيحية غربية محلها على اعتبار أن ذلك هو الخطاب الدينى الحديث .

العملاء الجدد

فى تطور مضحك فى الفترة الأخيرة أخذت بعض الفضائيات العربية فى إذاعة برامج حوارية يستضاف فيها ممثلين عن التيار العلمانى أو المسمى بالليبرالى أو العقلانى أو التنويرى .... إلخ .

أشخاص هم وجوه جديدة على الساحة ومعظمهم من المصريين حسب اللهجة ويوصفون دائماً بوصف واحد لايتغير وهو (كاتب صحفى وباحث) ، وهذه الوجوه لم تظهر من قبل على الساحة ، لكنها فى كل البرامج التى يظهرون فيها يهاجمون الإسلام والتيار الإسلامى وهم يقرءون من أوراق أمامهم معدة سلفاً على عكس العلمانيين القدامى الذين لم يكونوا يحتاجون إلى هذا الأوراق التلقينية فهل ياترى أصبح الجيل الجديد من العملاء الأمريكيين (لأن جميع هؤلاء الأشخاص يدافعون عن أمريكا وعن الغرب) أصبحوا مصابين بضعف الذاكرة بحيث يحتاجون إلى من يكتب لهم دروسهم البليغة قبل إلقائها ، أم أنهم أصبحوا من الأغبياء الذين لايستطيعون حتى مجرد إلقاء شوية كلام ضد الإسلام ارتجالاً ، إذ إن حكاية قيام ضيوف الفضائيات من العلمانيين بالقراءة من أوراق معدة سلفاً قد زادت عن الحد إلى درجة أن البعض شعر أن المسألة أصبحت مسألة تعارف بينهم أو علامة مسجلة أو ماركة تجارية تدل عليهم ، وعلى العموم فالناس أمزجة .

بلا خجل

الإعلام الرسمى أخذ يروج لفكرة تقول أن عدم التدخل بأى شكل لمساعدة الفلسطينيين خلال عملية الذبح الأخيرة هو قمة العقل والحكمة لأن إسرائيل كانت تريد جر المنطقة إلى حرب تحدد هى مكانها وزمانها ، أو لأن إسرائيل متفوقة بالفعل علينا عسكرياً إلى حد يجعل أى مواجهة خاسرة منذ البداية ، بل ومستحيلة فيما بعد ، وهذا الكلام الذى روج له الإعلام من خلال بعض العباقرة إياهم من الإستراتيجيين هو فى حقيقته مضر بمصالح الحكم ولايخدمه كما قد يتصور البعض ، فمن المفترض أن الجيوش التى تحظى بميزانيات كبيرة وتتمتع بمؤسسات علمية ثابتة وتزاول التدريبات المستمرة هى فى حالة استعداد دائم كما أنها تقدر على المواجهة إذا فرضت عليها وتستطيع التغلب على الفوارق فى التسليح ، وكان هذا هو درس حرب رمضان الأول

والأخير ، وهكذا فعندما تتردد حكاية عدم الاستعداد أو حكاية أننا ضيعنا على إسرائيل فرحة ضربنا بالهروب منها فهذا كلام ينعكس سلباً على الأوضاع العامة ويثير البلبلة والسخط ، وهو فوق هذا وذاك دعاية سيئة لاتخدم أحداً ولن يصدقها أحد ، والواقع أن هذا نموذج واحد فقط من نماذج سوء أداء هذا الإعلام بشتى فرقه وأنواعه خلال الفترة الأخيرة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية وقد وصل الأمر إلى حد التخبط المضحك عندما قام البعض مثلاً بتحويل الأحداث فى فلسطين إلى قضية وحدة وطنية حينما قالوا أن إسرائيل لاتفرق فى عدوانها بين مسلم ومسيحى ، ولذلك فينبغى أن نلتفت إلى وحدتنا الوطنية الداخلية وهذا كلام لامعنى له لأن كل قصة العدوان الصهيونى الأخير لا علاقة لها بالوحدة الوطنية المصرية ، أو الفلسطينية أو الأرجنتيينة ، ولكنهم مع ذلك ساروا فى هذا الخط وحولوا القضية والانتباه إلى موضوع واحد وهو حصار كنيسة المهد ، وسرعان ما خرجوا من ذلك بأن إسرائيل تضرب المقدسات المسيحية ونسوا المسجد الأقصى ومساجد نابلس الأثرية التى دُمرت فى العدوان الأخير والسبب البسيط والجوهرى فى هذا هو أن ذلك الإعلام لم يعد يعرف فى السنوات الأخيرة أى شئ سوى ترديد المقولات الساذجة المكررة حول جرجس ومحمد والهلال والصليب وتفسير كل شئ يحدث على أنه متعلق بالوحدة الوطنية .

وهكذا فعندما واجههم حدث ضخم مقرون بعجز وصمت رسمى شامل وقاتل لم يجدوا ما يتعاملون به معه سوى ترديد الاسطوانة القديمة حتى ولو لم تكن تصلح له لأنهم لا يعرفون غيرها ، وحتى عندما أرادوا بعض التأنق أو الفلسفة خرجوا بحكاية العجز عن المواجهة وروجوها دون خجل ودون أن يدركوا أنها لن تخدم بل تضر مصالح من يتصورون أنهم يخدمونهم .

النيجر..!!

أعلنت دولة النيجر الإفريقية أنها قطعت العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل احتجاجا على ما تمارسه إسرائيل من جرائم فى فلسطين وذلك رغم ما تتلقاه النيجر مما يسمى بمساعدات أمنية أو فنية من إسرائيل ، لكن الحكومة هناك تحترم رغبات الشعب المسلم وتلبيها حتى فى الوقت الذى تحتفظ فيه دول عربية أخرى بعلاقات دبلوماسية وسياسية وزراعية وسياحية مع الكيان الصهيونى ، وهذا الخبر لا يحتاج إلى تعليق .

د . محمد يحيى

أربعة قوانين قرآنية
تقرر مصير المجتمعات الإنسانية

بقلم : د. إدريس الكتانى

القانون الأول العام
قانون (الإيمان بالإسلام) كدين عالمي وحيد للبشرية كلها

يتحدث عدد من المثقفين والسياسيين المسلمين اليوم عن "الأديان السماوية" الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام ، كما لو كانت كلها فى درجة واحدة متساوية من الصحة والشرعية ، ويجهلون أو يتجاهلون حقيقتين :

١ - أن القرآن الكريم يؤكد بوضوح أنه ليس هناك إلا دين واحد لجميع الأنبياء والرسل السابقين هو الإسلام ، ذلك أن الإيمان بوحدة الألوهية ، ووحدة البشرية فى العقيدة الإسلامية ، وفى المنطق العقلى يقتضى حتما وحدة الدين ، واختلاف الشرائع والمناهج لنسبى فى ممارسة الشعائر والعبادات الدينية السابقة شرحه الله تعالى بقوله : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ .... (المائدة : ٥٠)

هذا الاختلاف كان يعبر عن تطور المجتمعات مع ظروف المكان والزمان ، ولكنه لم يكن يمس جوهر العقيدة الإيمانية المشتركة لهؤلاء الرسل الذين كانت رسالتهم خاصة بأقوامهم ، ومحدودة بعصورهم .

٢ - أن الإسلام الذى ختم الرسالات السابقة ، تميز بدعوة البشرية كلها للإيمان به ، وبشريعة كاملة وشاملة لجميع جوانب الحياة الإنسانية ، وصالحة لكل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة ، وناسخة بحكم ذلك للشعائر الدينية البسيطة التى جاء بها الرسل السابقون مع العلم بالتحريف والتغيير والتناقض الذى عرفته التوراة والإنجيل قبل وعند ظهور الإسلام ، حيث ندد القرآن بأهل الكتاب وكفرهم بآيات الله تنديدا شديدا سنشير إليه فيما بعد ، وهذا ما أكدته الأبحاث العلمية الحديثة فى الغرب ، كأبحاث العلامة الشيخ أحمد ديدات الذى زيف بها كل مزاعم رجال

الكنيسة فى أمريكا وأوروبا ، وأبحاث الدكتور موريس بوكاى الطبيب الجراح الفرنسى فى كتابه "التوراة، القرآن والعلم" وغيرهما .

ولتأكيد هاتين الحقيقتين جاءت الآيات التالية لتعلن القانون الإلهى بوحدانية الدين وعالميته الذى هو دين الله ، وأن الغاية منه هى عبادة الله وحده لا شريك له ، وأنه دين جميع الأنبياء والرسل السابقين ، وأن اختلافهم إنما حدث بعدما قامت عليهم الحجة بسبب بغى بعضهم على بعض ، لتحاسدهم وتباغضهم : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ﴾ (آل عمران : ١٩)

﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ﴾
.... (الصف : ٩)

﴿ قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا ﴾ .... (الأعراف : ١٥٨)

﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ .... (الشورى : ١٣)

﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾
.... (سبأ : ٢٨)

﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيئ ، إنما أمرهم إلى الله ، ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ﴾ (الأنعام : ١٥٩)

﴿ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السماوات والأرض طوعا وكرها ، وإليه ترجعون ، قل آمنا بالله وما أنزل علينا ، وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾
.... (آل عمران : ٨١ - ٨٥)

﴿ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما ، وما كان من المشركين ﴾ .... (آل عمران : ٦٧)

﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم ، لعلكم تتقون ﴾
.... (البقرة : ٢١)

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾
.... (الذاريات : ٥٦)

هذه بعض الآيات الكريمة التى تحدد فصول قانون "الإيمان بالإسلام" كدين عالمى وحيد للبشرية كلها .

وإذا كان هناك من يستغرب إطلاق كلمة "قانون" على مضمونها هنا ، وعلى مفاهيم إسلامية أخرى ستأتى كـ "الابتلاء" و "الجهاد" و "إحباط الأعمال" ، بدل كلمة "أمر" أو "فرض" أو "واجب" التى اشتهرت فى الأحكام الفقهية ، فمن أجل توضيح مضمونها باللغة القانونية المعاصرة التى تعنى وجوب التنفيذ ، وإلا خضع الممتنع للعقوبة المنصوص عليها حتى يفهم المسلم ، وغير المسلم المعاصر أن هذه الأوامر والنواهى الإلهية بفعل شئ أو تركه - التى كثيرا ما يغفل المسلمون عن

أخذها مأخذ الجد فى شدة العقوبة الإلهية المقررة بشأنها - هى فعلا قوانين إلهية صارمة قد يُعاقب المسلمون عليها فى الدنيا ، فضلا عن الآخرة .. ولتوضيح طابعها القانونى هذا قمت بصياغة معانيها فى "فصول قانونية" باعتبار أن المجتمع البشرى اليوم يخضع للغة القانون أكثر مما يخضع للغة العقل والإيمان .

القوانين الثلاثة الخاصة بالمسلمين

١ - قانون "الابتلاء" :

كل ما فى الأرض من جمال الطبيعة : الأشجار والأزهار والطيور والأنهار والجبال والبحار ، والأسماك والحيوانات ، والمعادن والثروات ، وغيرها من مفاتن الطبيعة الخلابة ، - التى تجعل الإنسان يعشق الحياة ويخشى فراقها بالموت ، لم يخلقه الله عبثا أو صدفة ، وإنما هو تقدير إلهى لغاية محددة ، ومن أجل الإنسان ، هذا الكائن العاقل الذى أسكنه الله فى الأرض ، وسخرها له بكل ما فيها وعليها وفوقها وتحتها ، من شمس وماء وهواء ، وبما لا يحصى نعمها وملذاتها ، وأطعمتها وأشربتها ، وطاقاتها ومواصلاتها ، هل يعتقد الإنسان الموجود على ظهرها أن كل هذه النعم ، إنما خلقها الله من أجله ، ومن أجل رفاهيته وسعادته فقط ؟.. مجانا ودون أدنى مقابل ؟! وهو الإنسان الأنانى المادى الذى لا يعطى إلا إذا أخذ ، ولا يمنح إلا إذا كان واثقا من الربح !

هذا الإنسان سيكون واهما ، ومخطئا ، ومغفلا إذا اعتقد أن خالقه الذى أودع فيه هذه الغريزة الدنيوية ، سيعامله بغير قانونها : "الأخذ والعطاء" الذى لا يتم إلا بتطبيق "قانون الابتلاء" .

قانون "الأخذ والعطاء" أو قانون "البيع والشراء" ، يجرى بين بشر متساوين فى الحياة الدنيا ، معاينة بين طرفين ، وفى زمن متقارب أو محدد .

أما قانون "الابتلاء" الإلهى فيجرى بين الله وبين عبيده المسلمين بمنتهى ما يمكن أن يتصوره الإنسان من العدل والدقة الحسابية فى المعاملة ، ويختلف عن قانون "الأخذ والعطاء" الدنيوى فى أن المسلم يقدم عطاءه فى الدنيا ، ولا يأخذ ثمنه إلا فى الآخرة ، وفضلا عن ذلك فهو يؤمن إيمانا غيبيا جازما بأن الثمن الذى سيحصل عليه فى الآخرة ، ستكون قيمته يومئذ أضعاف قيمته فى الدنيا ، جزاء قبوله لهذه الصفقة الغيبية التى يتأخر إنجاز شطرها الثانى بزمن طويل عن شطرها الأول ، اعتمادا فقط على الإيمان الغيبى بالله ، والثقة بوفائه بوعده ، فإذا بلغت قيمة العطاء الدنيوى ، مثلا ، أعلى درجة ، وتتمثل فى التضحية بالمال والنفس جهادا فى سبيل الله فإن الثمن الأخروى لإتمام الصفقة يصل بدوره إلى أعلى درجات الجزاء ، وهو الخلود فى نعيم الجنة ، وذلك معنى قوله تعالى :

﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم﴾ .... (التوبة : ١١١)

وقوله تعالى :

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزُلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ، ألا إن نصر الله قريب ﴾
.... (البقرة : ٢١٤)

لكن كيف يتم هذا "الابتلاء" الذى هو عبارة عن "اختبار" دقيق ومحسوب بمقاييس إلهية ، لا تصل إليها ، ولا تدرك كنهها تقديرات العقل الإنسانى لقيمة "عطاء الإنسان" فى الدنيا ، وتثمين مستوى تحمله لـ "مسئولياته والقيام بواجباته" كمؤمن بالله ، وهذا (الاختبار) ليس عملية نظرية أو فكرية بحتة ، كما هو الشأن فى الامتحانات الجامعية ، بل هو عملية تطبيقية ميدانية ، لها جانب مادى محسوس ، يتعرض فيه جسم الإنسان لقساوة هذا "الاختبار" ، وجانب معنوى : نفسى - اجتماعى ، تتعرض فيه شخصية الإنسان وقيمه الأخلاقية لمثل هذا "الاختبار" .

الابتلاء المادى الموجه لجسم الإنسان المسلم

يمكن أن نصنف أنواع "الابتلاء" المادى الموجه لجسم الإنسان المسلم ، - بالقتل أو الجرح أو التعذيب أو الأسر - (وعقله أيضا بطبيعة الحال) ، ومدى تحمله وتقبله وصبره لعذابها ، انطلاقا من نصوص الآيات القرآنية المتعلقة بها ، كما يلى :

١ - "الابتلاء" بالقتال فى حالة الجهاد .

٢ - "الابتلاء" بنتائج وأعباء الهزيمة فى الحرب .

٣ - "الابتلاء" بالخوف والجوع ونقص التعبئة بالرجال والأموال ومواد التغذية .

٤ - "الابتلاء" بالسيطرة على الأموال والأشخاص ، وبالإهانات والشتائم والمؤامرات من طرف النصارى واليهود والمشركين الملاحدة.

٥ - "الابتلاء" بسكرات الموت ، ونكبات الحياة .

والآيات التالية تعبر عن هذه الأصناف الخمسة بنفس الترتيب :

١ - ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ﴾
.... (محمد : ٣١)

٢ - ﴿ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليبلو بعضكم ببعض ﴾ (محمد : ٤)

٣ - ﴿ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ﴾
.... (البقرة : ١٥٤)

٤ - ﴿ لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾
.... (آل عمران : ١٨٦)

٥ - ﴿أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ ...... (العنكبوت : ٢ - ٣)

٦ - ﴿الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ ...... (الملك : ٢)

"الابتلاء" المعنوى الموجه لشخصية المسلم

كما يمكن أن نصنف أنواع "الابتلاء" المعنوى الموجه لشخصية المسلم وقيمه الخلقية .. ورد فعله الإيجابى أو السلبى ، من هذا "الابتلاء" اعتمادا على الآيات المتعلقة بها فيما يلى :

١ - "الابتلاء" بالحسنات والسيئات لعله يتجنب السيئات حرصا على الحسنات .

٢ - "الابتلاء" بالشر والخير ، لعله يهتدى للخير ، ويعى أخطار الشر .

٣ - "ابتلاء" النوايا وخلجات القلب بوضعها أمام الاختيار الصعب : الخوف من الله أو من الناس .

٤ - "الابتلاء" بالتفاوت الطبقى والاجتماعى بين الناس ، وأثره على سلوكهم وردود فعلهم .

٥ - "الابتلاء" بالتعددية المذهبية - الحزبية ، والصراع بين الطوائف والمذاهب .

والآيات التالية تعبر عن هذه الأصناف الخمسة بنفس الترتيب :

١ - ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ .... (الأعراف : ١٦٨)

٢ - ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ .... (الأنبياء : ٣٥)

٣ - ﴿وليبتلى الله ما فى صدوركم ، ويمحص ما فى قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور﴾ .... (آل عمران : ١٥٤)

٤ - ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم .... (الأنعام : ١٦٥)

٥ - ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم﴾ (المائدة : ٤٨)

ويبدو مع ذلك أن المسلم - فى أغلب الأحوال - لم يتفهم تماما الغاية الإلهية من هذا الاختبار للكشف عن حقيقة إيمان المسلم ، وعبوديته وطاعته لله تعالى .. وبتحديد درجته ورتبته الإيمانية فى ميزان العدل الإلهى ، يتحدد نوع الجزاء الذى يستحقه ، ولذلك وصف الله تعالى "رد فعل" الإنسان على هذا الابتلاء بقوله :

﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربى أكرمن ، وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن ، كلا﴾ .. (الفجر : ١٦) أى ليس الأمر كذلك ، أنكر الله على الإنسان أن يعتقد أن ذلك إكرام من الله له ، أو إهانة له ، بل هو مجرد ابتلاء وامتحان لمعرفة كيف يتصرف بالمال فى حال غناه وكيف يكون سلوكه فى حال فقره ، ونتيجة هذا الامتحان ، هى التى تحدد نوع الثواب أو العقاب الذى يستحقه يوم الحساب .

وبالتأمل فى هذه الآيات الكريمة يدرك المسلم أن كل خطوة يخطوها ، وكل حركة يقوم بها ، وكل عمل يمارسه ، بل وكل خاطرة أو نية خير أو شر تدفعه لعمل شئ ، أو تمنعه من عمل شئ هى محسوبة عليه ، ومسجلة فى كتابه لضمها وإحصائها مع حسناته أو سيئاته يوم الحساب الأكبر .

وهذا ما يعنيه قانون "الابتلاء" الذى نصت على فصوله الآيات السابقة ، والذى يمكن أن نصوغه بلغة القانون المعاصر - كما فعلنا سابقا - فى آخر هذا البحث .

وتدل هذه الآيات وغيرها على أن الابتلاء يكون للأفراد والجماعات ، كما يكون للشعوب والمنظمات والدول ، والعقوبات الدنيوية المختلفة

قد تنزل على جميع هذه الفئات فى الزمان والمكان الذى تقرره المشيئة الإلهية ، مثلا :

- إسرائيل ليست فقط حدثا عابرا فى التاريخ !

- ونفط الجزيرة العربية ليس مجرد هدية لأمرائها !

- وحرب الخليج ليست فقط مخططا استراتيجيا للغرب الاستعمارى !

- وفرنسة شعوب المغرب العربى ليست عملية غزو ثقافى - صليبى فقط !

- والديموقراطية ليست مجرد مذهب مصطنع للدفاع عن حقوق الإنسان !

- ومذابح اليهود فى الخليل ، والصرب فى سراييفو ليست مجرد إرهاب عنصرى ، وتطهير عرقى !

- واعتراف منظمة التحرير والدول العربية بإسرائيل ، وقبول الحل السلمى ، ليس مجرد هدف إنسانى لتحقيق السلام فى الشرق الأوسط !

إنها جميعا أحداث مقدرة فى علم الله تقديرا دقيقا بزمانها ومكانها وظروفها ، طبق "قانون الابتلاء" الخاص بالمسلمين ، والعرب فى طليعاتهم ، والذى أشار إليه القرآن فى نحو عشرين آية .

قانون "الجهاد وشروط النصر"

يعتبر الجهاد أحد أركان الدولة الإسلامية التى ارتبط وجودها وانتصارها تاريخيا بممارسته عمليا ، وانهيارها وسقوطها بتركه والتخلى عن متطلباته وقيمه الدينية : الأخلاقية والإنسانية ، ولعل هذا ما أشار إليه الحديث النبوى الذى رواه الطبرانى بسند حسن عن أبى بكر الصديق مرفوعا : "ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب" .

وفى رواية ابن مردويه عن محمد بن عبد الله التيمى عن أبى بكر الصديق أيضا قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

"ما ترك قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بذل ، ولا أقر قوم المنكر بين أظهرهم إلا عمهم الله بعذاب" .

وهذا العقاب الإلهى ظهر واضحا فى تاريخ المسلمين عموما ، وتجسد خصوصا فى اجتياح بغداد من طرف المغول ، وسقوط الخلافة العباسية وإقدام هولاكو على قتل آخر خلفائها المستعصم سنة (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) ، كما تجسد فى سقوط الأندلس وتسليم غرناطة للإسبان الصليبيين سنة (٨٩٧هـ؟١٤٩٢م) .. وها هو فى هذا العصر يتجسد فى سقوط فلسطين ، حيث لم يقتصر العذاب على الشعب الفلسطينى ، وإنما عم كل العالم العربى تصديقا للحديث النبوى ، ولذلك نجد المفسرين لقوله تعالى :

﴿إلا تنفروا يُعذبكم عذابا أليما ، ويستبدل قوما غيركم ، ولا تضروه شيئا ﴾ .. يقولون : (هذا تسخط عظيم على المتثاقلين عن الجهاد

المائلين عنه إلى الدنيا وشهواتها حيث أوعدهم الله بعذاب أليم مطلق ، شامل لعذاب الدنيا باستيلاء العدو عليهم ونحوه ، وعذاب الآخرة بالنار) . وفضلا عن هذا الدور الدينى والحضارى الكبير الذى فرضه الإسلام كركن أساسى لنشر وحماية الدعوة ، وقيام الدولة الإسلامية ، كنت مهتما بدراسة دوره النفسى - الاجتماعى ، وأثره الاقتصادى ، كفصل هام فى "علم الاجتماع الإسلامى" قبل أن أقرأ مقالا فى صحيفة سورية خلال عهد الرئيس الأمريكى كارتر الذى كلف لجنة من كبار الخبراء لدراسة نتائج الحروب التى تشنها الولايات المتحدة فى العالم ، وتقدير المنافع أو الأضرار التى تجنيها منها ، وجاءت الدراسة فى كتاب هام لتشرح بتفصيل المكاسب الاقتصادية والتجارية والصناعية والتقنية ، فضلا عن تجديد معنويات الشعب وتركيز النفوذ والهيمنة الدولية لأمريكا فى العالم ، عندئذ قلت لنفسى : إذا كان الأمر كذلك فى الولايات المتحدة الأمريكية وهو كذلك بالنسبة لحلفائها الغربيين : بريطانيا وفرنسا ، وفى الاتحاد السوفياتى سابقا ، وهى دول استعمارية كبرى مافتئت منذ أكثر من قرنين تشن الحروب الظالمة ضد الشعوب الإسلامية المستضعفة وغيرها ، وضد القيم الأخلاقية والإنسانية ، فلماذا لو كانت هذه الحروب إنسانية النزعة والهدف ، تحرم قتل الأبرياء ، وإبادة الشعوب ، واستعمال أسلحة الدمار الشامل ، ولا يقاتل فيها الجيش إلا جيشا فى مواجهته ، من نوع "الجهاد" فى سبيل الله ، لإعلاء كلمة الله ، ونشر دعوة الإيمان ، والحق والعدل بين شعوب العالم ؟..

ونستعرض فيما يلى خلاصة قانون "الجهاد وشروط النصر" من خلال الآيات الواردة فيه ، لنتأكد من أن هزائم حكومات المسلمين القديمة ، وهزائم الحكومات العربية المعاصرة ، لم تحدث بطريق الصدفة ، بل لعدم توفر شروط النصر الإسلامية ، بينما استطاعت الشعوب الإسلامية عربية كانت أو عجمية أن تنتصر فى معارك استقلالها الحديث ضد المستعمرين فى المشرق والمغرب ، لأنها تلقائيا كانت تؤمن بقدسية "الجهاد" كقانون إلهى ، وتخضع لشروطه حسبما جاء فى الآيات التالية :

١ - فريضة الجهاد :

فُرض القتال على المسلمين فى السنة الثانية من الهجرة بقوله تعالى : ﴿كُتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم ، وأنتم لا تعلمون﴾ .. (البقرة : ٢١٦)

٢ - شرعية القتال ووجوبه لدفع الظلم والعدوان :

شُرع القتال ضد المعتدين المهاجمين لأرض الإسلام أينما كانت بقوله تعالى :

﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وأن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ (الحج : ٣٩)

﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين ، وقاتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل﴾ . (البقرة : ١٩١)

﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يقاتلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ .... (التوبة : ١٢٣)

﴿ يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ، ومأواهم جهنم ، وبئس المصير ﴾

.... (التحريم : ٩)

٣ - وجوب القتال دفاعا عن المستضعفين:

إذا امتد العدوان لقتل المدنيين الأبرياء والمستضعفين من الشيوخ والنساء والأطفال ، وهدم واحراق بيوتهم ، وتدمير مدنهم وقراهم الآمنة ، فإن القرآن يؤكد مرة أخرى وجوب القتال ، ويندد بالمترددين فى الاستجابة له بقوله تعالى :

﴿ وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك وليا ، واجعل لنا من لدنك نصيرا ﴾ .... (النساء : ٧٥)

٤ - وجوب قتال المشركين كافة ضد قتالهم المسلمين كافة :

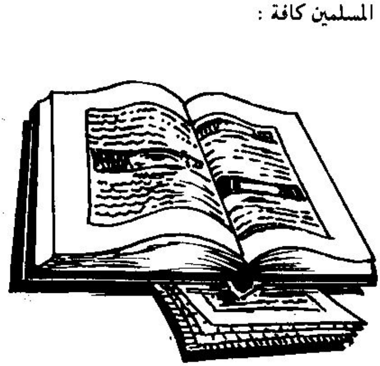

إذا اتخذ قتال المسلمين من طرف المشركين شكل تحالف صليبى جماعى ، وجب على المسلمين أن يردوا بالمثل ، وأن يقاتلوهم كقوة جماعية متكتلة ، مهما بعدت أوطانهم ، أو اختلفت أنظمتهم ، فى قوله تعالى :

﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾

.... (التوبة : ٣٦)

٥ - استمرار قتال الكفار للمسلمين :

وحتى لا يغتر المسلمون بحقيقة نوايا أعدائهم ، وينخدعوا بمواقف التضليل والتدجيل والنفاق لقادة الكفر ، فقد حذرهم القرآن من أن أعداءهم سوف يستمرون فى قتالهم عداء لدينهم ، بقوله تعالى :

﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ، ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ .... (البقرة : ٢١٧)

هل يستطيع أحد اليوم فى العالم أجمع أن ينكر صدق ما جاء فى هذه الآية الكريمة بعد ١٤٢٣ سنة من نزولها ، وهو يشاهد هذه الحروب الصليبية التى يشنها الكفار على العالم الإسلامى شرقا وغربا ، وخاصة فى فلسطين والبوسنة والهرسك والعراق وكشمير وليبيا وغيرها ؟..

٦ - التنديد بتاركى "الجهاد" :

ندد القرآن بالمتثاقلين المتقاعدين عن تلبية نداء "الجهاد" ، وأنذرهم بالعذاب الشديد ، واستبدالهم بأقوام (مجاهدة) تحل محلهم فى

قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الدنيا فى الآخرة إلا قليل ، إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ، ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا ، والله على كل شئ قدير ﴾

.... (التوبة : ٣٨ ، ٣٩)

﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، أحب إليكم من الله ورسوله ، وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره (أى بعذابه) والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾

.... (التوبة : ٢٤)

شروط انتصار المسلمين فى القتال :

إن انتصار الجيش الإسلامى فى القتال لا يتحقق إلا بشروط إيمانية عقيدية ، وأخرى مادية عملية ، ونستعرضها بالتتابع فى الآيات الدالة عليها فيما يلى :

٧ - الإيمان بأن الهدف من القتال هو نصر دين الله :

قال تعالى : ﴿ إن تنصروا الله (أى دينه) ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ .. (محمد : ٧)

وقال جل علاه : ﴿ ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز ﴾ .... (الحج : ٤٠)

٨ - الإيمان بأن النصر من عند الله وحده وبإذنه :

قال تعالى : ﴿ وما النصر إلا من عند الله ، إن الله عزيز حكيم ﴾ ..... (الأنفال : ١٠)

وقال جل علاه : ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ، وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده ﴾ .... (آل عمران : ١٦٠)

وقال أيضا : ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴾ .... (البقرة : ٢٤٩)

وقال أيضا : ﴿ والله يؤيد بنصره من يشاء ﴾ .... (آل عمران : ١٣)

٩ - الإيمان بأن الذين يُقتلون فى سبيل الله أحياء عند ربهم جزاؤهم الجنة :

قال تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يُرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ﴾

.... (آل عمران : ١٦٩)

وقال أيضا : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يُقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ﴾

.... (التوبة : ١١١)

١٠ - الإيمان بأن القتال هو ابتلاء واختبار للمؤمنين من المنافقين :

قال تعالى : ﴿ ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض ﴾ (محمد : ٤)

وقال أيضا : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ﴾

.... (محمد : ٣١)

١١ - أن يكون الجنود المقاتلون أنفسهم مؤمنين بالله :

قال تعالى : ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾

.... (الروم : ٤٧)

وقال أيضا :

﴿ إنا لننصر رُسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾

.... (غافر : ٥١)

وقال أيضا : ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون (أى الغالبون) إن كنتم مؤمنين ﴾

.... (آل عمران : ١٣٩)

١٢ - وجوب الحذر والاستعداد العسكرى الدائم :

قال تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ .... (الأنفال : ٦٠)

وفسرت (القوة) هنا بجميع أنواع الأسلحة والآلات ، وبالحصون والمعاقل ، وبجميع ما يتقوى به فى الحرب على العدو ماديا ومعنويا من تدريبات وسياسات وحيل وغيرها .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا خُذوا حذركم ﴾ .... (النساء : ٧١)

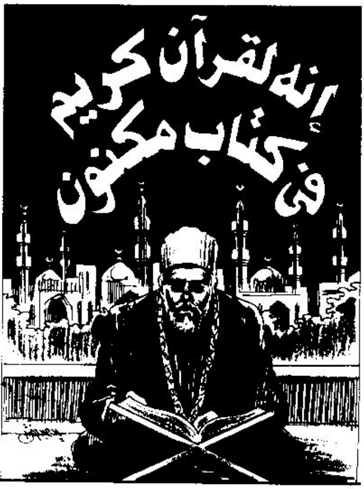

وقال أيضا : ﴿ وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ﴾

.... (النساء : ١٠٢)

وقال أيضا : ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورُسله بالغيب ، إن الله قوى عزيز ﴾

.... (الحديد : ٢٥)

١٣ - وجوب الصبر وذكر الله فى القتال :

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تُفلحون ﴾ .... (الأنفال : ٤٥)

وقال أيضا : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ .... (آل عمران : ١٤٢)

وقال أيضا : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ﴾ (آل عمران : ١٢٠)

١٤ - وجوب طاعة القيادة المؤمنة بالله ورسوله :

قال تعالى : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ ..... (الأنفال : ٤٦)

وقال أيضا : ﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾

.... (النور : ٥٢)

١٥ - التحذير من البطر والغرور :

قال تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورءاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ﴾

.... (الأنفال : ٤٧)

فهل كانت هذه الشروط تتوفر فى الجيوش العربيــة التى حــاربت إســرائيل أو الدول الاستعمارية الغربية ؟..

مفهوم النصر عند الصحابة

جاء فى البخارى عن أبى الدرداء قال : "إنما تُقاتلون بأعمالكم" .

وفى كتاب حسن المحاضرة للسيوطى :

أخرج ابن عبد الحكم عن زيد ابن أسلم قال : لما أبطأ على عمر بن الخطاب فتح مصر ، كتب إلى عمرو ابن العاص يقول : "أما بعد فقد عجبت لإبطائكم عن فتح امصاركم .. وما ذلك إلا لما أحدثتم ، وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم ، وإن الله تعالى لا ينصر قوما إلا بصدق نيتهم" .

وأوصى عمر بن الخطاب سعد بن أبى وقاص قائد جيشه لفتح القادسية قائلا : "إنى ءامرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وءامرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى ، منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فإذا استوينا فى المعصية ، كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإن لم ننتصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا .. واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألون العون على عدوكم" .

هل عرفت البشرية فى كل تاريخها حضارة انتصرت فى حروبها بمثل هذه الأخلاق المثالية غير الحضارة الإسلامية ؟!..

وهل عرفت البشرية فى كل تاريخها سقطت فى حروبها المدمرة ، والمتمثلة فى مذابح إسرائيل والصرب الإبادية ، وحلفائهما الغربيين والروسيين إلى حضيض الوحشية ، غير الحضارة الغربية فى نهاية القرن العشرين ؟!..

٣ - قانون "إحباط الأعمال"

يمثل هذا القانون بجانب قانون "الابتلاء" وقانون "الجهاد" الحلقات الثلاثة الهامة فى مسلسل (الامتحانات الدنيوية) التى لا يكاد المسلمون اليوم ، وحتى أغلب علمائهم ومثقفيهم وحكامهم يلاحظونها فى حياتهم السياسية ، ويدخلونها فى محاسبة أنفسهم ، أو يربطون بين ما يصيبهم من كوارث وهزائم ، وما يرتكبونه من معاصى ومظالم ، على أنها "امتحانات وانذارات عقابية معجلة" فى الدنيا قبل يوم الحساب الأكبر فى الآخرة .

وكلمة "إحباط" لها مدلول لغوى إسلامى خاص يُقال : حبط العمل يحبط حبطا وحُبوطا بمعنى ذهب سدى وفسد ، ولم يحقق ثمرته ، وضاع كل المجهود الذى بذل فيه ، وأحبط عمله أبطله .

لقدكانت (الظاهرة الاجتماعية) - التى لفتت نظرى إلى هذا القانون - والمتجلية فى حركات العالم العربى المعاصر ، وتطور أنظمته منذ نهاية الحرب العالمية الأولى ، وسقوط الخلافة العثمانية إلى حرب الخليج (١٩١٨ - ١٩٩١م) تؤكد علميا وعمليا أن أنظمة هذا العالم

السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والإعلامية ، لم تحقق أي هدف من أهداف الأمة العربية والإسلامية ، لا فى الوحدة والقوة العسكرية ، ولا فى مجال التقدم العلمى والصناعى ، فضلا عن مجال الحريات العامة ، والازدهار الفكرى والثقافى والاجتماعى ، وتعميم التعليم ، فى الوقت الذى استطاعت فيه الشعوب الإسلامية ، وليست أنظمتها الحاكمة ، تحرير أقطارها من حكم الاستعمار المباشر ، والحصول على استقلالها السياسى بفضل جهادها الإسلامي.

سبعون عاما من "التجارب المرة" ولدت أثناءها "الجامعة العربية" ميتة برعاية بريطانيا ، لتصبح "جثة محنطة" ملحقة بمتاحف مصر الأثرية ، كما ولدت "إسرائيل" ليرتفع علمها عاليا فى قلب القاهرة على ضفاف النيل !.. رغم أنف الشعب المصرى المسلم ، و"الأزهر الشريف" ، وثورة عبد الناصر وتبخرت أحلام "العروبة" من الخليج إلى المحيط.

أجيال من الزعماء ، والأحزاب والطوائف والحكومات ، ومحترفى السياسة والثقافة والفنون ، استهلكت ملايين الأطنان من الكتب والصحف والخطب والدراسات ، كما استهلكت حياة ومستقبل مائتى مليون مواطن من شعوبهم لتأتى "حروب إسرائيل" ثم "حروب الخليج" ، وما بعد الخليج ، مرورا بحرب الصرب فى البوسنة والهرسك ابتلاء وامتحانا للعرب فتحبط جميع أعمالهم ، وتكشف حقيقة سقوطهم ، وتعيدهم إلى وضع أشد تخلفا وانحطاطا مما كانوا عليه فى العصر الجاهلى مع حرب اليمن بين الشمال والجنوب !..

كان علىّ أن أكتشف سر هذا "الاحباط" الذى منى به العرب أمة الإسلام الأولى من القرآن مباشرة ، لأجد ستة عشر آية تتحدث عنه ، وتتضمن ستة أسباب وعوامل لظاهرة "الإحباط" حسبما يلى :

العامل الأول
(الإشراك بالله والردة عن الإسلام)

وذكر فى أحد عشر آية ، منها قوله تعالى:

﴿أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم﴾ .... (الأحزاب : ١٩)

﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾ .... (المائدة : ٥)

﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ .... (الزمر : ٦٥)

﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة﴾ .... (البقرة : ٢١٧)

العامل الثانى
"موالاة النصارى واليهود"

وذكر فى آية واحدة منددة بمرض هؤلاء الموالين للظلمة ، وسوء مصيرهم بقوله تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين ، فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم ، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من

عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين ، ويقول الذين آمنوا : أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم ، حبطت أعمالهم ، فأصبحوا خاسرين ﴾

.... (المائدة : ٥١ - ٥٢)

العامل الثالث (النفاق)

وذُكر فى آية واحدة جامعة لأوصاف المنافقين بقوله تعالى :

﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ، ويقبضون أيديهم ، نسوا الله فنسيهم ، إن المنافقين هم الفاسقون ، وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ، هى حسبهم ، ولعنهم الله ، ولهم عذاب عظيم ، كالذين من قبلهم ، كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا ، فاستمتعوا بخلاقهم (ملذات الحياة) فاستمتعتم بخلاقكم ، كما استمتع الذين من قبلكم ، بخلاقهم ، وخضتم كالذى خاضوا ، أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ، وأولئك هم الخاسرون ﴾

.... (التوبة : ٦٧ - ٦٩)

العامل الرابع (التكبر فى الأرض بغير الحق)

وذُكر فى آية واحدة جامعة لأوصاف المستكبرين فى الأرض بقوله تعالى :

﴿ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا ، وكانوا عنها غافلين ، والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم ، هل يُجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾

.... (الأعراف : ١٤٦ - ١٤٧)

العامل الخامس (الترف وحرص المترفين على نعيم الحياة)

وذُكر فى آية واحدة جامعة ، ومُندِدة بمصيرهم فى قوله تعالى :

﴿ من كان يُريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار ، وحبط ما صنعوا فيها ، وباطل ما كانوا يعملون ﴾

.... (هود : ١٥ - ١٦)

العامل السادس (مخاطبة الرسول أو التحدث عنه بما لا يليق بجلال النبوة)

وذُكر فى آية واحدة ، مؤكدة لمقام وقدسية النبوة بقوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ، أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ .... (الحجرات : ٢)

هذه العوامل الستة بالرغم من وضوحها ، يمكن شرحها وتحليلها فى كتب لمن أراد التعرف على مدى تأثيرها ودورها الخطير فى انحطاط المجتمع العربى - الإسلامى ، وسقوطه فى عصرنا الحاضر على الأقل .

لكن هل يستطيع أحد من العرب والمسلمين اليوم أن ينكر أن بلده أو مجتمعه لا يزخر بأصحابها ؟.. وأن المتصفين بها ليسوا هم المسيطرين عليها .

د . إدريس الكتانى

الرباط - المغرب

السابقون إلى الدار الآخرة

فقدت مصر والعالم العربى والإسلامى أحد العلماء البارزين وهو الدكتور فؤاد مخيمر - الأستاذ بجامعة الأزهر ورئيس مجلس إدارة الجمعية الشرعية بمصر ، وقد لعب المرحوم دورا هاما فى المجالين العلمى والاجتماعى من خلال دراساته المتميزة فى العلوم الإسلامية كأستاذ بجامعة الأزهر ، ومن خلال عمله كرئيس لمجلس إدارة الجمعية الشرعية وإماما لأهل السنة التى نهضت فى عهده نهضة كبيرة فى أكثر من اتجاه ، منها دعم صمود الشعب الفلسطينى ومساعدته بالمال والمواد الغذائية والملابس ، وكذلك إنشاء وتطوير عددا من المرافق والمشروعات الخاصة بالجمعية فى مجال إنشاء المدارس والمستشفيات والملاجئ ، ومشروعات كفالة الطفل اليتيم وتدريب الفتيات وغيرها ، وقد استطاع الرجل أن يكمل ما بدأ وسلفه الصالح من رؤساء الجمعية ، وقد أصبحت الجمعية الشرعية هى أهم مؤسسات المجتمع المدنى فى مصر كماً ونوعاً بفضل جهود أبنائها المخلصين .

وأسرة المختار الإسلامى تتقدم بخالص العزاء لأسرة المرحوم بإذن الله ، ولأصدقائه وإخوانه فى الجمعية الشرعية .

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته .

انحطاط الثقافة

يقول الفيلسوف الفرنسى رجاء جارودى [١] :

إن انحطاط الثقافة ينبع من تاريخ الولايات المتحدة ذاتها ومن تكوينها ، وإن ما تقود أمريكا العالم إليه إنما هو إلى نهاية إنسانية الإنسان وتجريده من أخص خصوصياته ، أى تسامى المشروع الإنسانى والاستسلام لحتميات اقتصادية كأنها قوانين طبيعية .

إنه هبوط بالإنسان ليعيش فى غابة الحيوان حيث ينهش القوى الضعيف .. إن ما يميز وحدانية السوق (الإله الجديد الذى تحاول أمريكا فرضه على العالم) فى الواقع هو تلك "الليبرالية الشمولية" ، وهذا الاحتقار لحرية الإنسان .. ولقد أجادت الولايات المتحدة دائما استخدام الذرائع لتصل إلى ما تريد .. ومن اليسير تعداد الأمثلة لاستخدام الذرائع والافتراءات ، مثل "مكافحة الإرهاب" ، أو "التدخل الإنسانى" ، أو "حماية حقوق الإنسان" ، لتبرير العدوان المباشر على الدول ، أو فرض القيود على الاتفاقيات الاقتصادية معها .

د. محمد عباس

نعم .. انحطت الثقافة الأمريكية بمفهوم الإنسان فجعلته مجرد حيوان مستهلك لا غاية له إلا الاستهلاك .. ويفضح ميشيل ألبير فى كتابه : "الرأسمالية ضد الرأسمالية انحطاط الحضارة الأمريكية" فيقول : "الواجب الواضح هو استبعاد قضية الغاية الفلسفية" . وتلك بوضوح هى الغاية النهائية لـ "وحدانية السوق" ، وذلك بأن "نتأمرك " على الحياة الأكثر زيفا ، ابتداء من الفيلم الأمريكى الذى بدأ بمطاردة الهنود وانتهى بتدمير العقول ، ومرورا بكل أفلام الغرب ، وأحراش المال ، و"دالاس " ، وكل مناظر العنف ، واللاإنسانية من "باتمان" إلى "ترميناتور" حتى الموعظة الرمزية التى تعود بنا إلى عالم "الديناصورات".

ويرى جارودى أن ركائز المجتمع الرأسمالى الذى تقوده اليوم أمريكا وتقود العالم كالسائمة إليه هى : تجارة المخدرات والسلاح والفساد.. إذ يتساوى حجم تجارة المخدرات ماليا مع حجم تجارة السيارات والصلب داخل الولايات المتحدة .. كما يتزايد الاستهلاك يوميا مع افتقاد معنى للحياة وتفشى البطالة والإقصاء ، ولأسباب أخرى عديدة (٢) .

وهكذا ، فمما له مغزى كبير : أن انتحار المراهقين ترتفع معدلاته فى البلدان الأغنى ، كما فى الولايات المتحدة والسويد : ومن ثم ينتحر الشماليون لغياب الغايات ، بينما يموت الجنوبيون لنقص الوسائل !..

وثمة إضافة هنا نضيفها إلى جارودى ..

وهى أن الغاية بالنسبة للمسلم تحتل مكانا خاصا لا يقوم بغيرها إسلام.. ألا وهى عبادة الله .. وإقصاء الغاية يعنى فى حقيقته إقصاء الدين . وما تفعله أمريكا ليس ضد الإسلام فقط .. إنه أساسا ضد عبادة الله .. ولا مانع مؤقتا من السكوت عن الإيمان السلبى به .. أو إيمان الخرافات والأساطير .

إن الإجرام الأمريكى يتبع نفس المنهج ، إنها لا تريد الأفغان العرب أحياء، إذن فهى لا تريد أسرى .. وبنفس المنطق .. هى لا تريد تدينا صحيحا لإدراكها خطورة مثل هذا التدين على منظومتها الفكرية - لذلك فإنها تحاصر المسلمين الحقيقيين كما حاصرت الأفغان العرب فى قلعة جانجى، تحاصرهم ولا تريد منهم أسرى. إنها فقط تريد أعضاء تحالف شمالى !!..

والتنويريون الحداثيون المستغربون فى

بلادنا يقدمون كل ما تبتغيه أمريكا .. بل وأكثر مما تبتغيه..!!

ويوضح جارودى أهمية السلاح بعد المخدرات - بالنسبة لأمريكا، وضرورة استمرار المعارك الحربية لاستمرار رفاهيتها.. فصناعة السلاح وتصديره هي الصناعة الأكثر رخاء : فهى التى صعدت بأمريكا إلى القمة ، وجعلتها القوة العالمية الأولى عقب الحرب العالمية الأولى .. فى عام ١٩٤٥ استولت - بفضلها - الولايات المتحدة على نصف الثروة العالمية ، وتوصلت إلى حل نهائى لأزمتها التى بدأت عام ١٩٢٩ .. وقد فجرت الحرب الكورية نجاحا اقتصاديا هائلا وجديدا . ومذبحة العراق كانت إكليلا من المجد وإعلانا مصورا بالحجم الطبيعى والصوت والصورة لمحركات الموت القاهرة والمعقدة، فارتفعت مبيعاتها ودارت عجلات إنتاجها عقب المذبحة

بخور آخر للحضارة الأمريكية الجديدة "وحدانية السوق" بعد المخدرات والسلاح : وهو الفساد.. وهو فى المنهج الأمريكى ليس أمرا عارضا ولا ضريبة للتقدم .. بل هو عنصر رئيسى لا يمكن لأمريكا الاستمرار بدونه .. ونشر الفساد داخل أمريكا وحول العالم ليس عرضا جانبيا للممارسات الأمريكية بل هو هدف أصيل فى صلب النظام ..

عرف آلان كوتا منطق النظام الأمريكى ، فقال :

"لا يمكن فصل انتشار الفساد عن توسع الأنشطة المالية والإعلامية .. فعندما تسمح المعلومة بتكوين ثروة فى بضع دقائق لا يمكن جمعها حتى بعد سنوات من العمل الشاق والمتعب طوال عمر كامل ، فإن إغراء شراء أو بيع هذه المعلومة لا يقاوم" . (الان كوتا: "الرأسمالية فى كل حالاتها" الناشر : فايار، ١٩٩١)

وأضاف : "يؤدى لفساد دورا مساويا للخطة". وبعبارة أفضل : فى نظام كل شئ فيه يباع ويشترى ، لم يعد الفساد - بل والدعارة أيضا - شذوذا شخصيا عن قواعد المجتمع ، بل أصبحا من القوانين البانية للنظام ..

فهل تدرك الآن أيها القارئ.. هل تعى أن الفساد المنتشر فى عالمنا العربى إنما منبعه هو تلك العلاقة الحميمة مع أمريكا ؟!..

يواصل جارودى :

ذلك أن انحطاط الثقافة ينبع من تاريخ الولايات المتحدة ذاتها ومن تكوينها، وكل سكان أمريكا مهاجرون من الخارج ، عدا سكانها الأصليين من الهنود الحمر الذين كانت ثقافتهم تنظم علاقتهم الاجتماعية ،

ولكن راح ٨٥ ٪ منهم فى الإبادة الكبرى ، كما تم إقصاء البقية الباقية منهم وتهميشها .. وقد جاء سكان أمريكا (أى المستوطنون الأوروبيون) بحثا عن العمل وكسب المال أساسا .. ومع اختلاف ثقافاتهم ودياناتهم ، بين أيرلنديين وإيطاليين وغير ذلك من أجناس وجنسيات مختلفة ، كانت الرابطة الوحيدة التى ربطتهم جميعا هى ذلك الخيط الرفيع المشابه لما يربط العاملين فى المؤسسة أو الشركة التجارية ، وأصبحت الولايات المتحدة تتبنى منظومة الإنتاج التى يقودها المنطق التكنولوجى والتجارى ، والتى يشارك فيها كل فرد منتجا أو مستهلكا، فى غاية وحيدة هى تنمية مستوى المعيشة كميا .

هكذا كانت كل هوية ، ثقافية أو روحية أو دينية ، تعتبر مسألة شخصية ، فردية تماما، لا تتداخل مع مسيرة النظام . الذى شجع على أن يصبح الإيمان عديم الأهمية .

جنون التأله مرض قديم فى الحضارة الأمريكية .. فقد كان من مصلحة هذه الحضارة ألا تنافس قيمها أى قيم أخرى من خارجها، ولو كانت هذه القيم قيم الإيمان ، ويؤكد جارودى أنه بالنسبة لهذه الحضارة فقد مات الإله ، وأصبح على الإنسان أن ينقطع عن كل ما هو مقدس ، وبخاصة هذا الدأب فى البحث عن معنى الحياة الذى يقود بالتبعية إلى الإيمان بالله .

واتسع المجال بذلك أمام تفشى الخرافات وانتشار الطوائف والهروب إلى المخدرات أو الشاشة الصغيرة ، بينما غطى كل ذلك صبغة تدعى الدينية وهى "البيوريتانية" الرسمية أو التطهرية الرسمية ، التى تتعايش مع كل أنواع انعدام المساواة وكل المذابح والجرائم ، بل وتمدها بالتبرير والغطاء الدينى .

لقد اكتشف توكفيل الحقيقة. وكان أول محلل ومراقب ثاقب البصيرة للولايات المتحدة، ففى عام ١٨٤٠ ، وفى كتابه الأساسى عن هذه الدولة ، وكانت لا تزال وليدة ، حين قال : "لم أعرف شعبا مثل هذا الشعب استولى فيه حب المال على قلوب البشر" ... "إنه شعب من شراذم المغامرين والمضاربين" .. واليوم - أيضا - نستطيع أن نعثر فى تاريخ هذا الشعب على أسس انحطاط ثقافته .

●●●

نعم .. الأمريكيون برابرة همج كالإسرائيليين .. ولكننا لا نريد الاعتراف بذلك ..

لماذا قلنا إن الشعب الإسرائيلى مجرم لأنه انتخب الجزار شارون ولا نقول بنفس المنطق أن الشعب الأمريكى الذى انتخب بوش هو الآخر شعب مجرم ؟!..

وتماما كما حدث فى فلسطين المحتلة التى لا يعترف فيها اليهود حتى الآن بحدود لدولتهم فإن الأمريكيين لم يعترفوا بحدود لدولتهم ، وكانت العلاقة مع الآخرين أيضا

ذات طبيعة خاصة .. بدأت أولا بطرد الهنود للاستيلاء على أراضيهم ووضعهم بين خيارين: إما الإبادة وإما النفى والانسحاب إلى المعازل .. وبعد ذلك كانت العلاقة بين البيض أنفسهم خاضعة لأحكام قانون الغاب لنهب الثروات المسروقة من الهنود ، أرضا كانت أم ذهبا. وهكذا تقلص معنى الحياة إلى هذا التوسع الكمى للملكية وللأرض وكنوزها . وكان "الوست" أو "أقصى الغرب البعيد" يعنى - باستثناءات قليلة تقديس هذه الملحمة العنصرية ، وقانون الأقوى فى حرب الجميع ضد الجميع ..

ولم تلعب التطهرية المسيحية أو البيوريتانية أى دور سوى دور تبريرى لتلك الأفعال والعلاقات الاجتماعية ، بل والمحرك لها !..

وهكذا أصبح العنف الأكثر دموية ، والتحريض عليه بنفاق المتدينين ، ملمحا دائما فى تاريخ الولايات المتحدة منذ نشأتها فلقد قدم المتطهرون من الإنجليز الأوائل إلى الولايات المتحدة ، حاملين معهم العقيدة الأكثر دموية فى تاريخ البشرية ، ومسلحين بفكرة : "الشعب المختار"، مقننين فكرة الإبادة ، وكأنها حسب روايتهم أوامر إلهية .. كانوا يسرقون أراضى الأهالى الأصليين طبقا لتعاليم يهوا "إله الحرب" فى "العهد القديم"، هذا الإله الذى أمر "شعبه المختار" بإبادة وذبح السكان القدامى فى أرض كنعان واغتصاب أرضهم .

وبالضبط ، فإنه كما سمى الأسبان حربهم لإبادة الهنود فى جنوب القارة الأمريكية تبشيرية "واستند المتطهرون الإنجليز على أوامر "يهوا" بالإبادة المقدسة ، لتبرير طردهم للهنود وسرقه أرضهم إحياء للعهد القديم . فقد كتب أحدهم : "واضح أن الله يدفع المستوطنين للحرب ، بينما يعتمد الهنود بعدتهم وعددهم على ارتكاب الخطأ ، مثل القبائل القديمة ، يتحينون الفرصة لفعل الشر ، تماما مثل قبائل "الأماليسيت " القديمة والفلسطينيين الذين كانوا يتحدون مع آخرين لقتال إسرائيل ".

وهذا يوضح فكرة أن الأرض "الموعودة" فى فلسطين أو أمريكا ليست سوى أرض محتلة بالقوة !.. ويوضح أيضا أن الإجرام طبيعة أصيلة فى الشعب الأمريكى كله كما هو طبيعة فى الشعب اليهودى فى إسرائيل - .. وهو يقود العالم كله أمامه للانحطاط..

إن إعلان استقلال الولايات المتحدة ، فى ٤ من يونيو عام ١٧٧٦ ، الذى يعد إرهاصا لـ "إعلان حقوق الإنسان والمواطن " فى فرنسا عام ١٧٨٩ ، يعطى مثالا صارخا للنفاق عن الحرية بمعناها الأمريكى . ينص الإعلان فى

سطوره الأولى على ما يلى : "لقد خلق الناس جميعا متساوين ، ومنحهم الله حقوقا لا تقبل التنازل عنها ، كالحياة ، والحرية والبحث عن السعادة" . ومع ذلك . . . . فقد استمرت عبودية الزنوج مع هذه "الحرية" قرنا من الزمان . وكان لا بد من أن تنفجر حرب أهلية عام ١٨٦٥ لإنهاء ما كان يسمى حتى ذلك الوقت "بالمؤسسة الخاصة" (!) أو "نظام العبيد" . وحتى بعد تلك الحرب لم يكن لهم مكان فى المجتمع . حيث انتقل العبيد الزنوج بمقتضى هذا الإفراج من العمل فى مزارع الجنوب بالسخرة إلى العمل فى مصانع الشمال بأجر زهيد أو بمثل سابقه . ثم نشأ بعد ذلك إرهاب المنظمات السرية ، مثل كو كلوكس كلان . واستبعدت القوانين السوداء العبيد القدامى من الحياة السياسية ، كما استبعدتهم من الحياة المدنية . واستمر التمييز العنصرى حتى يومنا هذا برغم تضحيات بذلها عظماء مثل مارتن لوثركينج . وكذلك ظهر أبشع أنواع النفاق فيما يخص الهنود .. كما ظهر لأول مرة ما أصبح المبدأ المحرك لكل الاعتداءات المستقبلية التى ستقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية عبر العالم أجمع .. ويتمثل هذا المبدأ فى اعتبار كل عدوان أو إبادة تقوم بها الولايات المتحدة نوعا من "الدفاع الشرعى" .

إن إعلان الاستقلال ، الذى أقر مبادئ الحرية والمساواة ، وصف الهنود بأنهم "متوحشون بغير رحمة ، وسيلتهم المعروفة هى شن الحرب وذبح الجميع" .. هكذا تكلموا عن السكان الأصليين حتى يبرروا مسبقا المذابح ونهب الأراضى، واعتبار تلك الجرائم البشعة نوعا من "الدفاع الشرعى" .. كما لو كان الهنود هم الذين "غزوا" أراضى المهاجرين ، بينما هؤلاء الأوروبيون كانوا ينهبون أراضى الهنود ويدمرون حياتهم بصفة مستمرة .

ومنذ ذلك الحين ومنذ تلك "الخطيئة الأساسية" : إبادة الهنود واستعباد الزنوج واستخدام أبواق الإعلام لقلب الحقائق، منذ ذلك الحين تم وضع حجر الزاوية الأساسى للسياسة الأمريكية وللثقافة الأمريكية وفى منهج إدارة أمريكا للعالم .. فقد قلصت الإبادة التى قام بها "شعب الله المختار" أعداد السكان الأصليين من عشرة ملايين إلى ٢٠٠ ألف نسمة (٣) . وقد شهد توكفيل بربرية المستعمرين ضد الهنود الحمر الذين يملكون أسلحة لا تتوازن أبدا مع أسلحة الغزاة . ووصف بسخرية لاذعة وإنسانية ذبيحة ، ذلك النصر الذى حققته "الحرية" وهذه المسيرة المنتصرة "للحضارة عبر الصحراء" ، بينما فى قلب الشتاء كان البرد قارسا ، وكان ثلاثة أو أربعة آلاف جندى يطاردون السكان الأصليين الرحل الذين يخطون آخر خطواتهم نحو الانقراض ، وهم يحملون جرحاهم ومرضاهم وأطفالهم الرضع وعواجيزهم إلى حافة الموت . "مشهد مؤثر" لا يمحى أبدا من الذاكرة .

نحو وعى سياسى

هكذا بدأ التاريخ فى شمال العالم الجديد .. هكذا بدأت الولايات المتحدة الأمريكية ..

قتل وسرقة ونفاق وكذب وادعاء فاجر بأن الله يبارك كل ذلك ..!!..

وبنفس هذا المنهج أطلقوا على الرئيس بنيامين فرانكلين فى عام ١٧٥٤، اسم "أبو الأمة" ، لأنه "الرجل" الذى أزاح الأهالى الأصليين ، ليفسح المجال أمام شعبه .. وقد لقن جورج واشنطون نفس الدرس لبعض قبائل الهنود الحمر ، عندما أمر قواته بتدمير مجتمعهم وحضارتهم .. وكانا بمقاييس عام ١٧٧٩ على درجة من التقدم ، ولم يشهد العالم مثيلا لهذا النفاق والجبن الأخلاقى الذى لقى ثناء واستحسانا لعدة قرون .

تلك كانت الخطوات الأولى فى إجرام لم يتغير و إنما تعددت وسائل إخفائه والتمويه عليه .

لقد كشف توماس جيفرسون ما تغلغل فى هذا الشعب من لصوصية و إجرام ليس ضد الهنود الحمر فقط .. بل ضد الرجل الأبيض أيضا .. يقول جيفرسون : "من الخير أن تبقى القارة فى قبضة العرش الإسبانى حتى تكتمل لشعبنا القوة ليأخذها منه قطعة بعد قطعة".

ما تفعله أمريكا ليس جديدا عليها.. وإنما هو جوهر الحضارة الغربية التى حملته معها من أوروبا .. كل شئ كذب وكل شيء خداع ولا جريمة محرمة فى سبيل المكسب .. والآخر دائما كومة من القش، (نفس ما يحدث الآن لإخوتنا فى أفغانستان وفلسطين) ..

- ففى بريطانيا استند آدمز إلى نفس النهج حين حاولت الصين وقف تصدير الأفيون عن طريق الهند ، وهى المحاولات التى فجرت حرب الأفيون ، واستخدمت فيها إنجلترا القوة لدحر مقاومة الصين للمبادئ "النبيلة" لحرية التجارة .. بينما وصف آدمز محاولة الصين لوقف إغراق بلادها بالأفيون بأنها ضد الطبيعة ، ومحاولات تعارض ضبيعة الأشياء!

- ثم يأتى بعد ذلك ودرو ويلسون ليحدد "مهمتنا الخاصة" بأنها "تلقين" كل شعب مستعمَر : "النظام وضبط النفس (!) والتدريب على القانون والطاعة " .

ومعنى ذلك من الناحية الواقعية : "الخضوع لحقنا فى استغلالهم ونهبهم" .

ويشرح ودرو ويلسون فى نص خاص الدور الذى تقوم به سلطة الدولة فى هذا "المشروع": بما أن التجارة لا تعرف حدودا قومية، وبما أن المنتج يحتاج إلى العالم ليصبح بأجمعه سوقه التجارى ، فلابد إذن من أن يسبقه علم بلاده ، حتى يوفر له فرصة اختراق كل الأبواب المغلقة . ولابد أن يحمى رجال الدولة الامتيازات التى يحصل عليها رجال المال ،

حتى ولو أدى ذلك إلى تدمير سيادة الأمم التى تحاول التصدى لذلك .. يجب إقامة المستعمرات أو ضمها حتى لا نترك أى ركن فى العالم .. هذه المذكرات السرية توضح المعنى الحقيقى لمثل ويلسون العليا فى الحرية والحكم الذاتى .. وهى المثل العليسا التى يثرثر بها كثيرا مثقفو الغرب .

- وقد شرح وزير خارجية ويلسون ، روبرت لانسينج ، معنى "مبدأ مونرو" فى مذكرته التى اعتبر نشرها خطأ ، وإن كان لا يشك فى صحة حججه ، جاء فيها : "تدافع الولايات المتحدة عن مصالحها الخاصة ، حين تدافع عن مبدأ مونرو، لأن سلامة بقية الأمم الأمريكية ثانوية بالنسبة للولايات المتحدة، ولا تعتبر هدفا فى حد ذاته . وبرغم أن ذلك يبدو فى منتهى الأنانية ، فإن مؤسس هذه العقيدة لم يكن لديه أى دوافع أخرى أكثر عمقا، أو اكثر كرما لتقديمها" .

إن دراسة الجذور المؤسسة للأسطورة الأمريكية وسياستها الخارجية ، تؤكد أن تلك الجذور لم تتغير منذ قرنين من الزمان .

نعم .. الإجرام أصل أصيل عريق .. ليس فى جورج بوش ولا فى إدارته .. وإنما فى الشعب الأمريكى إلا من رحم الله ..

تاريخ الولايات المتحدة فى القرن التاسع عشر هو فى الأساس تاريخ القضاء على الهنود.. من عام ١٨٠٠ حتى عام ١٨٣٥ ، أبعدت تلك القبائل لما وراء الميسيسبى عبر ظروف انتقال وإقامة تعد أحلك صفحة فى التاريخ ، وتفوق سوء الحال الذى أحدثه التهجير الهتلرى .. وبعد عام ١٨٤٠ وإنشاء ومد السكك الحديدية ، أجبر الهنود على ترك آخر أراضيهم ليستقروا فى المعازل المشابهة للحظائر الحيوانية .. وأدى هذا الصراع إلى موت الملايين ، لأن المقاومة المسلحة للهنود لم تنته إلا بذبح زعيمهم " ومنددنى فى عام ١٨٩٠.

●●●

هل أدركتم يا قراء حجم الخطر الذى تمثله تلك القوة الحمقاء الشرسة المجرمة الهمجية البربرية على العالم .. وعلينا ؟..

قوة الولايات المتحدة الأمريكية والقطيع الذى تسوقه ..

نفس ما فعله التتار فى العالم .. ونفس ما فعلوه فى الخليفة العباسى حتى برغم استسلامه .. لأنهم رأوا أن مجرد وجوده سيشعل الجهاد من جديد ..

لقد طرحت أحداث الشهور الأخيرة من العام الأول فى القرن الحادى والعشرين الأمر كما لم يطرح من قبل أبدا ..

كان الغرب بمنهجه المجرم ووسائله الباطشة يخفى جزءا من الصورة دائما ويبث الشك فيما عداها.. حتى جاءت تلك الأحداث لتظهر الصورة كاملة كما لم تظهر من قبل ..

إن الحداثة ، وعبادة الدولار والذهب ، هما دين الولايات المتحدة الأمريكية الذى تحاول

ببطشها وقهرها جر العالم إليه ..

يقول جارودى : تعنى "الحداثة" النسيان والازدراء والجهل والصبيانية لصالح الجهل والأمية الثقافية والجاهلية الميكانيكية والمعلوماتية .. إن المهمة الأولى للمثقفين هى كشف الأكاذيب التى تسود المراجع المدرسية ووسائل الإعلام ، وهما اللذان يخدمان الغرب للإبقاء على هيمنته بأيديولوجيات مغالطة عن حداثته.." .. ثم يؤكد : "وليس ثمة افتراض واحد عن تلك الحداثة المزعومة لا يعد افتراء وكذبا ، وأولها تلك المزاعم عن الديموقراطية ، وحماية حقوق الإنسان والحرية".

لقد أعلنت أمريكا ومن يسير فى ركابها من أتباع الدين السرى الجديد الذى يسميه جارودى "وحدانية السوق" ، وأسميه أنا : "عبادة الشيطان" .. أعلنت حربا حقيقية على الدين ، مع تحويل كل ما يخالف دياناتهم إلى شيطان .. وبغض النظر عن المميزات والحسنات أو الجرائم والأخطاء والمزايا ، فإن كل من خالف معبودهم وهيمنتهم أصبح هتلر جديدا سواء كان أصوليا أو عراقيا أو حتى معارضا من بيرو .

نعم .. أمريكا تقود العالم إلى عبادة الشيطان ..

والجريمة ليست جريمة فرد ولا إدارة ولا فئة .. الجريمة جريمة الشعب الأمريكى كله.

قد يقول البعض وقد أوافقهم إن بعض الشعب الأمريكى ودود .. وأن صفاته الخلقية فى التعامل بين الأفراد صفات طيبة .

وقد يقول البعض إن الشعب الأمريكى يجهل ما يدور فى العالم حوله .. وقد أصدق من يقول ذلك ..

لكننى فى نفس الوقت .. أعقب على هذا وذاك .. أقول إن الود الذى يزعمه البعض هو ود مصنوع .. فالقيم الإنسانية لا تعرف التجزئة .. كما أن تفسير الحداثة للقيم هى أن تكون نسبية ومتغيرة .. والقيم لا يمكن أن تكون قيما إلا إذا كانت مطلقة .. وبعبارة أخرى فإننا نعنى بالنسبى : البشرى ونعنى بالمطلق : الإلهى .. إن الكذب يظل فى القيم المطلقة كذبا دائما حتى لو نجاك من الهلاك أو أتى إليك بثروة قارون .. بينما هو فى القيم النسبية يكون خيرا أو شرا حسب الظروف المتغيرة .. إننا على سبيل المثال عندما نتحدث عن درجة حرارة معتدلة أو عالية أو منخفضة فلابد أن يكون مرجعنا شيئا ما.. فهى معتدلة للإنسان مثلا.. فإذا نحينا الإنسان سقط المعنى على الفور.. فالحرارة المعتدلة فى الشمس بضعة آلاف درجة وفى القمر عدة مئات ..

نعم.. ليس هناك أى معنى للقيم ما لم تنسب إلى الله .

فى كتاب بالغ الأهمية للدكتور عبد الوهاب المسيرى (٤) يقول : "... والنسبية بدأت تستشرى فى بلادنا أيضا .. ويلاحظ أن كثيرا من المثقفين اليساريين ممن اكتسحتهم النسبية تخلوا عن عقيدتهم الثورية وعن الإيمان بمقدرة الإنسان على التجاوز (فالتجاوز يفترض اختيارا ، والاختيار يعنى مفاضلة ، والمفاضلة لابد أن تستند إلى معايير ثابتة) وأصبحوا من دعاة الأمر الواقع والتطبيع وقبول ما هو قائم ، أى أصبحوا من عمد الرجعية الصلبة. ولكن ، وهذا هو الغريب، يوجد فريق لا يزال متمسكا بقيم مثل الخصوصية القومية المستقلة وضرورة مقاومة إسرائيل، ومع هذا تجده ينطلق من الإيمان بنسبية كل الأشياء ، فمثل هؤلاء غير مدركين أنه إذا كانت حقا كل الأمور نسبية (كما يدعون) فلا سبيل لتفضيل شىء على آخر، فالتغير يكتسح كل شىء فى طريقه. فالالتزام فى الأدب مثلا يفترض وجود قيم إنسانية ثابتة، لابد أن يدافع عنها الأديب الملتزم ، فإن كانت كل الأمور نسبية ، فالالتزام يصبح مساويا لعدم الالتزام، والدفاع عن الإنسان يصبح مثل الهجوم عليه. وقد حضرت ندوة عقدت ضد التطبيع حضرها ممثلو الأحزاب المصرية، بما فى ذلك اليساريون، الذين قدموا ورقة عن الهوية المصرية قالوا إنها كانت فرعونية ثم قبطية ثم عربية ثم حديثة !.. وقولهم هذا يؤكد الصيرورة المستمرة، بل وتنتهى الهوية بشىء عام لا لون ولا طعم ولا رائحة له يسمى "حديثة" . فأشرت إلى أنه مع هذه التغيرات المذهلة لم لا نتصور تحول هذه الهوية إلى هوية شرق أوسطية، كما ينادى الصهاينة! أليست كل الأمور نسبية ؟. أليست كل الأمور متساوية؟ فاستشاط كاتب الورقة غضبا ، وأصدر أصواتا عصبية حيث كان يجلس"..

النسبية إذن وجه من وجوه الكفر.. بل أبشع وجوهه .. نعم.. تعنى الكفر بكل شئ .. بالله وبالأنبياء والكتب المقدسة والأحاديث النبوية الشريفة .. ولا يقتصر الأمر على ذلك .. لأنها تعنى أيضا الكفر بالقومية والوطنية وبأى مرجعية على الإطلاق .. فهى كفر مطلق .. والغريب كما قال الدكتور المسيرى أن الكثيرين من المثقفين فى بلادنا اليساريين على وجه الخصوص - يتبنونها ثم يدعون أنهم مسلمون مؤمنون بل يتصدون للمسلمين والمؤمنين كى يعلموهم فقه دينهم. كما يدعون أنهم وطنيون يكرهون إسرائيل .. أو يدعون أنهم ضد الشذوذ الجنسى (٥) .

وهنا أريد أن أركز على معنى هام لا أريد أن أستطرد فيه كثيرا : وهو أن نسبية القيم تعنى فى النظرية الأصلية كما هى فى الواقع والتطبيق: انعدام القيم.. وأن هذا هو نفس معنى الحداثة، وما بعد الحداثة، فكل هذه المسميات فى النهاية كالعلمانية والماركسية - كفر .

نحو وعى سياسى

ولعلى أذكر القراء بأحد تصريحات بوش فى يوم ١١ سبتمبر حين قال : إنهم ضد حداثتنا.. والواقع أننا فعلا ضد الحداثة وأنبه القارئ إلى الاختلاف الكلى بين الحداثة والتحديث - لكننا لا نتدخل فى أمرهم فى بلادهم .. هم الذين يحاولون إرغامنا على الكفر تحت اسم الحداثة .. ولقد بدا ذلك بفظاظة فى انتقادهم للتعليم الدينى وخطباء المساجد فى مصر والسعودية والباكستان، كما تبدى رد الفعل بمنع خطباء المساجد من الدعاء للمجاهدين فى أفغانستان .

نحن لا نريد إرغامهم على الإيمان ..

هم الذين يريدون إرغامنا على الكفر ..

ننتقل إلى النقطة الثانية .. ذلك أن جهل الشعب الأمريكى بما يدور حوله وهو فى الغالب بسبب تصرفات بلاده ومحاولتها أن تهيمن على العالم هو جهل متعمد .. كتعمد أسرة ألا تسأل ربها عن مصدر أمواله لأنها فى الوعى أو حتى فى اللاوعى تدرك أنه مال حرام .. حصيلة السرقة وملوث بالدم .. أو كتعمد أب ألا يسأل ابنته عن الجواهر التى تزين جيدها ويديها .. لأنه يعلم فى الوعى أو اللاوعى أنها نتاج الدعارة ..

يقول جارودى عما فعلته أمريكا بنفسها وبالعالم : "حولت كل شئ إلى دعارة"..

ولكم هو مصيب ..!!

كل شئ .. فتاريخ الولايات المتحدة هو تاريخ سرقة أوطان وإبادة شعوب واسترقاق البشر الذين قامت على أكتافهم أسس النهضة الشيطانية .. السرقة والقتل والنهب والاحتلال والكذب وازدواج المعايير صفات أصيلة فى الشخصية الأمريكية .

فى نيويورك ، وحسب إحصاءات الشرطة يقع هناك حادث قتل كل أربع ساعات ، واغتصاب كل ثلاث ساعات ، واعتداء كل ثلاثين ثانية . وبرغم كل ذلك ، فإن نيويورك لا تتبوأ سوى المكانة العاشرة ضمن مدن الولايات المتحدة بالنسبة لانتشار الجرائم . وفى عام ١٩٩٨، تم إحصاء ٢١٠٠٠ جريمة قتل فى سجل الولايات المتحدة الأمريكية . واليوم هناك أكثر من مليون أمريكى فى السجون ، وأكثر من ثلاثة ملايين آخرين تحت المراقبة القضائية .

أربعة ملايين .. هم الذين لم يستطيعوا الإفلات من القانون ..!!

وفى تقرير صدر عن "صندوق حماية الأطفال" المؤسسة الرئيسة لحماية الأطفال فى الولايات المتحدة رصد الخط البيانى الصاعد بلا توقف للأطفال والمراهقين المقتولين بالأسلحة النارية : " منذ عام ١٩٧٩ وحتى عام ١٩٩١ قُتل ما يقرب من ٥٠ ألف أمريكى أقل من تسعة عشر عاما (٩١ آلاف

أقل من أربعة عشر عاما و٤٠ ألفا بين خمسة عشر وتسعة عشر عاما)، قتلوا برصاصات أو حوادث أو جرائم متشابكة . فى خلال الفترة ذاتها، نجد أن عدد المحتجزين لارتكاب جرائم قتل وذبح ممن هم دون سن التاسعة عشرة قد تزايد بنسبة ٩٣٪ " . وحسب ما ورد فى التقرير ذاته ، فإنهم فى الأغلب الشباب الذين يقتلون أو يصيبون شبابا آخرين.. كما سجل عدد القضاة الذين ثبتت إدانتهم فى قضايا الرشوة والغش الضريبى بين عامى١٩٨٠ و١٩٩٠ رقما قياسيا فاق عدد الذين أدينوا للسبب ذاته خلال الـ١٩٠ عاما الأولى من تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية.

إن خمسة عشر مليون أمريكى يعملون فى صناعات السلاح والأنشطة المتعلقة بها، وهذا الرقم يزيد عن ربع القوة العاملة فى المجتمع الأمريكى، والذين يمكن أن يتضرروا بشدة ما لم تكن هناك حروب .. فهل يختلفون عن أكلة لحوم البشر ؟..

إدارة مجرمة لشعب ليس بريئا ومن الصعب أن يتوب .. فبدون القتل والسرقة والهيمنة لا يستطيع أن يعيش فى المستوى الذى اعتاد عليه .

د . محمد عباس

هامش :

١ - أمريكا طليعة الانحطاط - رجاء جارودى - (دار الشروق) .

٢ - لا أكاد أصدق ما سمعته من ثقات ، أن الحكومة الخفية على عكس المعلن - فى الولايات المتحدة قد استاءت كثيرا عندما تولت طالبان الحكم وأوقفت زراعة الأفيون .. لكن عدم التصديق هذا تزلزل عندما لاحظت أن قوة رئيسية من التى اعتمدت عليها أمريكا فى حرب طالبان والقاعدة كانت عصابات المخدرات .. وأن زراعة المخدرات عادت بعد الاحتلال . وجارودى يضيف هنا تأييدا جديدا لأولئك الثقات ..

٣ - تصل بعض التقديرات بالرقم إلى خمسين مليونا، ولكن من الممنوع فى الولايات المتحدة بحث هذا الأمر، تماما كما هو ممنوع التشكيك فى رقم الستة ملايين يهودى فى الهولوكوست المزعوم .
ولقد حاول الصديق والمفكر الأستاذ مجدى حسين أثناء إحدى رحلاته للولايات المتحدة أن يجرى بحثا عن الهنود الحمر، ولكنه قوبل بتحذير مذهل.إذ قيل له أن هناك من قتل لأنه أصر على إجراء مثل هذا البحث ..

٤ - رحلتى الفكرية - الجذور والبذور والثمر - الهيئة العامة لقصور الثقافة .

٥ - للتذكرة : أذكر القارئ بما قاله وزير الثقافة المصرى إبان أزمة الوليمة من أن "الأخلاق نسبية ، وكل شئ نسبى".

في الذود عن الإسلام :

القضية ليست عناوين الندوات وإنما مدى أهلية الحاضرين فيها

د . صلاح عز

خاص : المختار الإسلامي

نشرت جريدة "الحياة" في عدد ١٦ مارس الماضي مقالا للكاتب الكبير الأستاذ جلال أمين اتهم فيه "الغربيين" بظلم الإسلام وسوء الأدب في الحديث عن المسلمين ، فقال : إن لهجة الغربيين تثير الغضب ، ومحاولة تبرئة النفس في مواجهة هذا الظلم هي من قبيل الإمعان في إذلال النفس .. فنحن لا يزيدنا شرفا أن تتحسن صورتنا في أعينهم .

ونحن قطعا لا يزيدنا شرفا أن نكيف أنفسنا على الصورة التي يريدوننا عليها ، غير أن المسألة لا تتعلق بتحسين صورة الإسلام التي هي أصلا طيبة لا تحتاج لتجميل بقدر ما تتعلق بإزالة أوساخ يلقيها الصهاينة على ثوب الإسلام حتى يراه من يجهله بصورة مشوهة .

بعد واقعة ١١ سبتمبر نشرت "الجارديان" لكاتب هذه السطور خطابا تلقيت ٢٢ رسالة شخصية بالبريد الإليكتروني تعليقا عليه .. غالبية الرسائل كانت إما تأييدا لما جاء في خطاب "الجارديان" عن العلاقة الوثيقة والإحباط الذي يشعر به العرب إزاء ما يجري في فلسطين والعراق ، وإما استفهامات حول خلفيات ما يجري وانعكاساته على مستقبل المنطقة والعالم .. ومنهم من توجه لي برجاء ألا أكره الشعب الأمريكي "بسبب ما ترتكبه أقلية من الأثرياء هم أقلنا إنسانية" ، وأن أتيقن من أن كثيرين من الأمريكيين مثله لا يؤيدون سياسات وقرارات الرئيس بوش ، وأن آراءهم تلك لا تجد عادة طريقها إلى النور بسبب التضييق على حرية التعبير في الصحافة الأمريكية .

وتعليقا على خطاب نشرته لي جريدة "التايمز" الإنجليزية الأسبوع الماضي تلقيت الخطاب التالي من القارئ الإنجليزي باري واتسون يقول فيه :

عزيزي د . عز .. قرأت خطابك الممتاز في التايمز ، وهو أمر ضروري أن يكتب العرب

للإعلام الغربى الذى هو أساسا منحاز لإسرائيل. إن البريطانيين يجدونه مريحا لهم أن يتناسوا الإرهاب والعنف الذى جاءت بهما دولة إسرائيل إلى الوجود ، فمنذ عام ٦٧ وأنا أؤيد الشعب الفلسطينى .. فى هذا العام عندما كنت أخدم على إحدى سفن الأسطول البريطانى فى المحيط الهندى سمعنا إشاعة أن "إسرائيل الصغيرة المسكينة" على وشك أن يهاجمها "المصريون المتوحشون".. منذ هذا الوقت قرأت ما أكد لى حجم الخداع الذى تعرض له الفلسطينيون .. فى الولايات المتحدة إذن - كما فى العديد من بلدان الغرب الأخرى - هناك من يقفون معنا ، وهم ليسوا أقلية .

إن "الغربيين" الذين يشير إليهم الأستاذ أمين هم فى واقع الأمر قلة من عتاة الصهيونية (يهود وأصوليون من اليمين المسيحى) لا يتركون فرصة دون استغلالها لشن حملات التحريض على الإسلام والمسلمين فى أكثر الصحف الأمريكية والبريطانية تطرفا.

إن الرأى العام الغربى يمكن تصنيفه إلى ثلاث أقسام : الأول تمثله نسبة لا بأس بها فى أوساط المثقفين لم تفلح آلة الدعاية الصهيونية فى استقطابها إلى صف إسرائيل .. الثانى تمثله أقلية صهيونية غير قابلة للحوار والتفاهم لأن مواقفها محددة سلفا ، ولديها من الإمكانات المادية والإبداعية ما يمكنها من تحويل الأكاذيب إلى حقائق - والعكس - فى العقول المجهلة عمدا .. هذه الفئة تدعم جهودها بتقييد حرية التعبير للعرب والمسلمين والمتعاطفين معهم فى الغرب ، ويستحيل إنجاز أى مكسب من الحوار معها لأن قدرة أعضائها على التسويف والمناورة والالتواء والتزييف لا حدود لها .

إنهم لا يطرحون الأسئلة بهدف الاستفهام والاستكشاف ، وإنما بهدف الاستدراج والاستفزاز .

أما القسم الثالث فتمثله الغالبية فى الأوساط ذات الثقافة المتدنية (رجل الشارع) الذين يطالعون صحف "التابلويد" التافهة ولا يهتمون كثيرا بالسياسة الخارجية وتحكمهم "روح القطيعة" ، وهؤلاء يسهل على الداعية المغرضة التأثير فيهم وتلويث عقولهم ، كما يصعب الوصول إليهم من خارج مجتمعاتهم ، وهنا تبرز المسئولية الكبيرة الملقاة على عاتق المنظمات العربية والإسلامية الأمريكية ، فهى الأقدر على الوصول لعامة الشعب هناك ومخاطبته عن طريق الصحف وقنوات التليفزيون المحلية .

طرح الأستاذ أمين سؤالين هامين يتعلقان بحضور بعض المثقفين العرب ندوات فى عواصم الغرب بشأن قضايا مثارة حول الإسلام ، حيث تساءل : "هل يجوز أن أتطوع بالذهاب إليه لتحسين رأيهم فىّ وطمعا فى الحصول على رضاهم عنى وعن دينى ؟.. وهل يجوز القول أن أى جهد لتحسين صورة الإسلام لابد أن يكون محموداً ؟.."

لكنه لم يطرح السؤال الأهم : هل يجوز أن يذود عن الإسلام من هم غير مؤهلين لذلك ؟..

إن الإجابة على السؤال الأخير هي بالطبع لا لأن مواجهة أبالسة الصهيونية في الغرب مهمة ليست هينة يجب ألا يتولاها سوى من هم أهل لها ، وأهم أدوات هذه الأهلية هي : ثقافة دينية مستنيرة - إتقان اللغة الإنجليزية نطقا وكتابة - خبرة في مخاطبة العقلية الغربية والتعامل مع منطقها في النظر للأمور المثيرة للجدل - إلمام جيد بالخلفيات التاريخية والملابسات السياسية لأهم قضايا العرب والمسلمين وعلاقة الغرب بها - عدم التهور باللجوء إلى معلومة غير مؤثقة خاصة بأي قضية عربية لأن الخصم لن يترك هذا الخطأ حتى يتحول في يده إلى ذخيرة ضد القضية - الصبر والتماسك أمام الاستفزازت المتعمدة والالتواءات المربكة والأكاذيب الفاحشة التي قد يلجأ الخصم الغربي إليها لاستدراج المثقف العربي المشتبك معه فكريا إلى مواقف عصبية تسئ في النهاية إلى صورة العربي المسلم .

لا يمكن إذن لـ "أي جهد" أن يكون محمودا ، خاصة إذا قام به من يعتقدون أن استرضاء الغرب أمر يشرفهم ، وأنه لا حاجة تستدعي الاتصال المسبق بالمنظمات العربية والإسلامية الأمريكية للتنسيق معها ، وأن الدفاع هو أقصى ما يطمحون إليه على أساس أن الهجوم بفتح ملفات تعامل الغرب مع القضايا المطروحة قد يستثير غضب المضيفين .. أمثال هؤلاء لن ينجحوا إلا في مضاعفة الأوساخ العالقة بثوب الإسلام .

أما أن يكون موضوع الندوة عن علاقة الإسلام بالمرأة أو الحداثة فلما لا ؟.. ولماذا نتخوف من النيات السيئة للقائمين على هذه الندوات أو نتوقع غير ذلك ، طالما أن الحاضرين من جانبنا تتوافر فيهم كافة شروط الأهلية ؟.. والمطلوب في هذه الحالة تجاوز الصهاينة وأصحاب النيات السيئة - الذين لن يقتنعوا إلا بما هم مبرمجين عليه - حتى يصل الخطاب إلى المتعاطفين معنا والمخدوعين الجاهلين بحقائق الإسلام وأهله .

بالنسبة لسؤال الكاتب الأول ، فالواضح أن التوفيق لم يحالفه في الصياغة حيث بدا كما لو أنه يتحدث عن المنتمين لمعسكر الهرولة العربي الذين يذهبون لاسترضاء الإسرائيليين ودفع تهمة تهديد أمنها عنا .. أما ما نحن بصدده هنا فهو مبدأ الدفاع عن النفس وصد العدوان على ديننا .. فهل يصح لمن يملك وسيلة الرد ، السكوت أمام اتهامات بعض الصحف الأمريكية للإسلام بأنه دين يدعو لقتل وإرهاب غير المسلمين ، وأن المسلمين هم بالضرورة همج وفوضويون ؟..

إن تخفيف آثار التحريض على كراهية العرب والمسلمين من خلال الحملات العنصرية التي أطلقت ضدنا بعد ٩/١١ ، واجب يأثم من يتقاعس عنه من المؤهلين ثلاث مرات :

الأولى لتخاذله عن رد العدوان ، والثانية لأنه بذلك يمنح الفرصة لغير المؤهل للتطوع للمهمة ومفاقمة الأضرار ، والثالثة لأنه يترك الساحة خالية أمام الصهاينة لكي يعيثوا فسادا في

عقول البشر ، وهو ما كان عليه الحال طوال العقود السابقة نتيجة اعتقادنا أن الحقائق ساطعة لا تحتاج إلى الإشارة إليها مرارا وتكرارا وعدم انتباهنا إلى قدرة عدونا الفائقة على تشويه هذه الحقائق وتحويلها إلى أساطير ، وتزيين أباطيلهم وترسيخها فى العقول ..

هذا السلوك من جانبنا هو الذى مكن الصهاينة الغرب من السيطرة على أهم مراكز صنع القرار وتشكيل الوعى وتصنيع الإجماع .

لقد اتهم الكاتب من يقولون بأن السبب الحقيقى وراء واقعة ٩/١١ هو الانحياز الأمريكى لإسرائيل ، بأنهم يسيئون للإسلام والمسلمين لأن هذه المقولة "تتضمن اعترافا بأننا نحن الذين ارتكبنا الجريمة وهو ما لم يقدم عليه أى دليل قاطع" .

والواضح أن الأستاذ أمين لم يتبين بعد أن الحديث عن "أدلة قاطعة" تجاوزته الأحداث ، وأن ثبوت التهمة علينا أمر مفروغ منه لأنهم خططوا لذلك بإحكام ، وأن من يجرؤ اليوم على إنكار علاقة العرب بجريمة ٩/١١ فى الإعلام الأمريكى سيتعرض لما تعرض له من أنكروا المحرقة النازية ، وأن المسائل لا علاقة لها بأدلة أو حقائق وإنما بما يتم ترسيخه فى العقول .. علينا أيضا أن نعترف بأن كثيرين من العرب والمسلمين فرحوا وهللوا لما وقع يوم ٩/١١ زاعمين أنه ضربة قاصمة للاقتصاد الأمريكى وأنها ستجعلهم يعيشون فى رعب .

هذه الدرجة المذهلة من السطحية والسذاجة المتفشية فى بلداننا أخفت عن كثيرين حقيقة أن إسرائيل كانت هى المستفيد الأول من هذه الجريمة وأن المنظمات العربية والإسلامية الأمريكية كانت هى المتضرر الأكبر ..

لقد كتب لى مسلم إنجليزى يشكو من أن كل من حوله من المسلمين (من أصل آسيوى) يعلنون سعادتهم بما جرى فى ٩/١١ ، وأنه يشعر كالمنبوذ بينهم .. هذا السلوك من جانب قطاعات واسعة عربية ومسلمة قدم للصهاينة أحد أهم الأدلة الظرفية التى استُغلت لإثبات التهمة علينا ..

خلاصة القول هى أنه بغض النظر عن حقيقة ما جرى يوم ٩/١١ علينا أن نتعامل مع واقع أننا متهمون ونخطط للحد من أضرار هذا الاتهام ، وذلك لا يتحقق إلا برد الإرهاب إلى جذوره السياسية .. فعندما يزعمون أن العرب يكرهون أميركا لأنها ثرية وتتمتع بالحرية والديموقراطية - وهذا هراء لا يصح السكوت عليه - علينا أن نرد بالتحذير من أن الإرهاب لا يغذيه سوى بلطجة أميركا وإسرائيل وازدرائهما بأرواح المسلمين فى أفغانستان وفلسطين .

وأعتقد أن هذه الحجة المنطقية تجد لها آذانا صاغية فى كافة بلدان العالم ، بدليل أن جميع دول أوروبا ، وحتى فى بريطانيا أصبحت تتخوف من عواقب أى عدوان أمريكى قادم على العراق .

د. صلاح عز

الملا عمر للفلسطينيين:

الأمريكيون واليهود جيش واحد والحرب تستهدف الإسلام

اعتبر زعيم حركة طالبان الملا محمد عمر أن المجازر التى يتعرض لها الشعب الفلسطينى على يد الجيش الإسرائيلى دليل على أن الحرب على الإسلام والمسلمين حرب صليبية مكشوفة .. وقال الملا عمر فى بيان حصلت الحياة على نسخة منه مؤخرا : هكذا صار اليهود والأميركان جيشاً واحداً فى حربهم ضدنا ويقومون بمهمة واحدة ويتعاونون علانية لتنفيذها.

وأضاف : بعدما أعلنت أميركا حربها على الإسلام فى أفغانستان وقامت بذلك تحت اسم حرب (على الإرهاب)، ونظراً لعدم وقوف المسلمين فى العالم فى وجهها وقوفاً قوياً، بل ولأن بعض الدول الإسلامية ساندتها وأعانتها فى ذلك فإن اليهود اليوم يقومون بالأمر ضد شعبنا المسلم فى فلسطين بكل جرأة ومن غير رادع أو خوف ، فقتلوا النساء باسم حرب الإرهاب ، ويتموا الأطفال وأسروا الشيوخ وسجنوا الشباب ، وهدموا البيوت وارتكبوا المجازر الجماعية ، وهو الشىء ذاته الذى فعلته - ولا تزال تفعله - أميركا فى أفغانستان ... وأشار إلى أن كل ذلك يحدث بأسلحة أميركية وبأموال اميركية ، ووفقاً لقرارات وسياسات أميركية .. وأضاف إن دولة اليهود فى حقيقتها جزء من الدولة الأميركية الكبرى ، ولهذا فإن أميركا لا ترضى أن تصاب دولة اليهود بأى أذى، فكيف يصدق الناس بعد هذا كله أن أميركا تريد أن تحارب الإرهاب وتقضى عليه وهى تمارسه بنفسها بصورة فظيعة أو عن طريق دولة اليهود التى ترتكب أشياء بشعة فى حق الضعفاء العزل .. وتساءل الملا عمر: أليس اليهود هم الذين جاءوا إلى فلسطين واحتلوها وطردوا منها أهلها وأخذوا أموالهم وانتهكوا أعراضهم وخربوا ديارهم ؟.. فكيف يكون إرهابياً من يقاتلهم ليبقى على أرضه ، ويدافع عن عرضه ، ويحافظ على دينه ؟.. وتساءل : هل يريد الأميركان منا أن نرى المحتلين يعيشون آمنين مطمئنين وأصحابَ الأرض المالكين مشردين مطاردين ومع ذلك لا نحارب ولا نقاتل من أجل طرد من اغتصب حقنا ؟.. وهل وصل الاستخفاف الأميركى واليهودى بعقولنا إلى هذا الحد ؟..

ووجه زعيم حركة طالبان الحديث إلى الشعب الفلسطينى قائلاً : أما شعبنا فى فلسطين فنقول له اصبر ، وتوكل على الله ، ولا تعتمد على غيره ولا تنتظر الفتح والنصر من أحد سواه ، واعلموا أن ما زرعته أميركا وحلفاؤها من مشاكل فى بلادنا لن يشغلنا عن أمر فلسطين وبيت المقدس إن شاء الله فأمة الإسلام أمة واحدة يتألم بعضها لآلام بعض (....) وسيكون عدونا من الأميركان واليهود هم الخاسرين فى نهاية المعركة ، فإننا على يقين أن الله لن يتخلى عن عباده المؤمنين وأن النصر آت بإذنه تعالى .

الإسلام
واكتشاف الحرية

الحملة الإعلامية الأمريكية على العالم الإسلامى تحت شعار القضاء على الإرهاب حملة معبأة بحقد تاريخى عميق الجذور فى الثقافة الغربية، لذلك كان من السهل تفجيره فى الوجدان الأمريكى بعد حادثة ١١ سبتمبر رغم ما يحيط بها من أسرار لم يكتشفها العالم بعد .. ولقد عبر عن هذه المشاعر الرئيس بوش الابن عندما وصف حملته بأنها حرب صليبية على الإرهاب الإسلامى .. صحيح إنه اعتذر عن هذه العبارة ولكنها برغم كل شئ فلتة لسان تعبر بتلقائية عن مكنونات القلوب .

محمد يوسف عدس
مستشار سابق بهيئة اليونسكو

وبلغت هذه الحملة حدا من العبث والسفاهة لدرجة أن يقترح صحفى صهيونى ضرب مكة المكرمة بقنبلة نووية ليكون هذا إنذاراً حازما للمسلمين فى كل مكان، وزعم أن هذا الرأى يؤيده كثير من الأمريكيين .. وأشار إلى أن مدينتى طهران وبغداد مرشحتين للضرب بالقنابل النووية، وتمنى لو كان هناك قنابل (نظيفة) تضمن حصر الدمار فى نقطة الهجوم لتدمير غزة ورام الله .

وجاء صحفي صهيوني آخر ليؤيده في صحيفة أخرى ، (أولهما هو ريتشي لوري ، والثاني هو رود درامر) .

وقد سمعنا من أعضاء وزارة شارون من هدد بتدمير السد العالي بقنابل نووية وإغراق مصر في مياه النيل .. وهكذا يتصاعد صوت القوة المغرورة وصوت الجنون الحاقد طبقا للسيناريو الذي رسمه صامويل هانتجتون في كتابه "صدام الحضارات" ، وعبر عنه الرئيس بوش في فلتة لسان .

لكننا لا نعدم خلال هذا اللغط الهادر والتهديد الخبيث والافتراءات التي لا تتوقف عند حد ، لا نعدم أن نسمع صوتا منصفا للحقيقة يعيد إلينا بعض الثقة في أن الساحة الغربية لم تخل من بعض الحكماء الأحرار الذين يصرون على قول الحق رغم أنهم يعلمون أنهم يسبحون ضد تيار جارف من الأكاذيب ، تسانده القوة السياسية والقوة العسكرية لدول كبرى .

في الأجواء المحمومة التي أعقبت حادثة يوم الثلاثاء ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ظهرت بعض كتب عن الإسلام لقيت إقبالا منقطع النظير من جانب الأمريكيين والأوروبيين ، أحد هذه الكتب ألفه ثلاثة من الباحثين المتخصصين في تاريخ الحضارات ، كتبوه بإخلاص شديد وإيمان قوي بالقضية التي يعرضونها للقراء ، ويركز الكتاب على الحضارة الإسلامية وما أنجزته للإنسانية في مجالات العلوم والفنون والأفكار.

يؤكد هذا الكتاب على حقيقة هامة وهي أن الحضارة الإسلامية أكثر من أي حضارة أخرى سبقتها أو لحقت بها ، قد بناها أصحابها على أسس من المبادئ الأخلاقية الواضحة ، وأن العصور الوسطى التي مرت بأوروبا وكانت عصور ظلام وتخلف ، هي نفسها العصور التي شهدت في عالم المسلمين أزهى فترة وأكثرها ازدهارا وتقدما .

هذا الكتاب بالذات طُبعت منه ثلاث طبعات خلال شهرين اثنين نفذت جميعها حيث بيعت منه عدة ملايين من النسخ في الولايات المتحدة وأوروبا وكندا واستراليا .

قرأ الناس هذا الكتاب على أوسع نطاق في أحلك الأوقات ، أقصد في الوقت الذي شهد أعنف هجوم على الإسلام ونُسب إليه أبشع صنوف الشر وأسوئها ، فإذا بالكتاب يقول للناس عن الإسلام شيئا على النقيض مما هو شائع في وسائل إعلامهم .

فماذا يدل هذا الإقبال من الغربيين على هذا النوع من الكتب ؟. أعتقد أنه يدل على أمرين : الأمر الأول أن في الغرب أناس لا يثقون ثقة عمياء فيما يقوله زعماؤهم السياسيون أو ما تروّج له أجهزتهم الإعلامية ، والثاني أنهم يتمتعون بفكر حر وقابلية للاطلاع والاستماع إلى الرأي الآخر ، وهذا مدخل إلى العقل الغربي لا ينبغي إهماله أو الاستهانة به .

روزويلدرلين :

في هذا الإطار وقع بيدي على كتاب آخر أثار دهشتي وانتزع إعجابي انتزاعا ، ذلك هو كتاب

"الإسلام واكتشاف الحرية" ، مؤلفته الأصلية روز ويلدر لين ... طفا هذا الاسم مجددا على الساحة العامة عندما اكتشف أحد المحققين أنها هى المؤلفة الحقيقية لسلسلة كتب الأطفال الشهيرة بعنوان:

Litlle House on the Prairie

ذلك الكتاب الذى جرى فى عشرات من المسلسلات التليفزيونية ، تم بثها ولاتزال تُبث حتى اليوم .

كانت هذه السلسلة قد نُسبت فى الماضى إلى أمها "لورا إنجلز ويلدر" ولعلهما كانا قد اشتركا فى التأليف معا ، ولكن آثرت البنت أن تُنشر السلسلة تحت اسم أمها .

أما "روز ويلدر لين" فهى شخصية عُرفت فى حياتها الفكرية والعملية بالتزامها الأخلاقى بقضية الحرية الفردية للإنسان وكرست حياتها الصحفية للدفاع عن هذه القضية ، وألفت كتابا فى هذا الموضوع بعنوان : "اكتشاف الحرية" يحمل عنوانا فرعيا هو : "صراع الإنسان ضد طغيان السلطة" .

تقول المؤلفة : "لقد وضعتُ حرارة قلبى فى هذا الكتاب من أوله إلى آخره" ، ورغم ذلك لم تلبث أن سحبته من السوق بعد أن تبين لها أنها تورطت فى بعض أخطاء تاريخية .

ويقول المعلق الذى أعاد نشر الكتاب إن هذه الأخطاء لم يكن لها فى الحقيقة أى أثر سلبى على جوهر الرسالة التى تضمنها الكتاب ، ولكن شعورا فائقا بالمسئولية الفكرية هو الذى جعل مزلين تسحب الكتاب من التداول .

إلى جانب عمل المؤلفة بالصحافة وكتب السير أُعتبرت رواياتها من أكثر الكتب توزيعا .. ولدت سنة ١٨٨٦ .. أمها "لورا" كما أشرنا وأبوها هو "المنظو ويلدر" ، ولهذا الأب قصة مثيرة سنتبينها فى حينها .. ناضلت مزلين فى سبيل التحرر الإنسانى طوال حياتها ، وبلغت قمة شهرتها فى هذا المجال سنة ١٩٣٦ عبر سلسلة من المقالات نشرتها مجلة "ساترداايفننج بوست" تحت عنوان Credo ارتباطها برسالتها دفعها إلى المغامرة بحياتها حيث التحقت بالصليب الأحمر بعد الحرب العالمية الأولى كمراسلة صحفية لتسجل وتكتب التقارير عن عمليات وأنشطة هذه المنظمة الدولية فى مناطق البلقان وروسيا وبلاد الشرق الأوسط .

من هذه الخبرة الفريدة والاتصال بعالم الإسلام والمسلمين استطاعت المؤلفة أن تعمّق رؤيتها لحقائق هذا العالم الذى شغل عقلها ووجدانها لفترة طويلة ، ولكن شيئا أكثر أهمية فى حياتها هو الذى فتح عقلها وقلبها على الإسلام وتاريخه وعجائبه ، ذلك لأن روز ويلدر لين كانت تعلم أنها لم تكن لتولد أو تظهر على وجه الدنيا لولا أن فارسا شهما من المسلمين كان قد أنقذ جدها الأعلى من الموت أثناء الحروب الصليبية فى فلسطين ، كشف عن هذه الواقعة "هنرى جراى ويڤر" فى كتاب له بعنوان "ينبوع التقدم الإنسانى" نشره سنة ١٩٥٣ .

يقول ويڤر : "جندى إنجليزى عائد من

الحروب الصليبية اسمه ويلدر أنقذ حياته فارس عربى نبيل ، واعترافا بهذا الجميل أوصى الجندى بأن يحمل أحفاده جيلا بعد جيل اسم منقذه المسلم ، ومن ثم فإن والد روز ويلدر لين كان يحمل اسم المنظو ولعل الاسم الأصلى كان المنصور".

كتاب ويفر المشار إليه هو فى حقيقة الأمر نفس كتاب مزلين وإنما وضعه ويفر بصياغة جديدة ونشره بإذن منها تحت اسمه .. لكن ناشرا آخر أعاد نشر كتاب مزلين الأصلى "أكتشاف الحرية .." سنة ١٩٨٤ على حالته الأصلية دون تغيير أو تنقيح .

ولكن رأى الدكتور عماد الدين أحمد أن ينشر الفصل المتعلق بالإسلام من هذا الكتاب لأنه قد أصبح على جانب كبير من القيمة والأهمية خصوصا فى الفترة الأخيرة بعد ظهور كتاب صامويل هانتجتون وانتشار نبوءته السوداء عن صدام الحضارات ، وذلك لأن كتاب السيدة لين يبشر - على العكس من هذا - بحوار الحضارات واتصالها وتلاقحها ، ومن ثم قام بنشر هذا الجزء من الكتاب تحت عنوان "الإسلام واكتشاف الحرية" دون أن يمس النص الأصلى بشئ من التغيير ، ولكنه - عوضا عن هذا - قام بالتعليق عليه فى الهامش تعليقات شارحة ومصححة لما فى الكتاب من أخطاء ، كما قام بتصحيح الآيات القرآنية ونسبها إلى مواقعها من سور القرآن الكريم .

وهذا جهد كبير مشكور من جانب المعلق يدل على أمانته ودقته وحسن فهمه للإسلام وتاريخ الإسلام .

والدكتور عماد الدين أحمد من خريجى جامعة هارفارد وحاصل على درجة الدكتوراة فى علم الفلك والطبيعة الكونية من جامعة أريزونا ، وهو الآن رئيس معهد منارة الحرية للبحوث الإسلامية فى واشنطن ، كما أنه أستاذ مساعد فى كل من جامعتى جونز هوبكنز وجامعة ميريلاند ، ويقوم بتدريس برنامجا عن الدين والتقدم فى مجالات العلم والاقتصاد والسياسة من وجهة نظر إسلامية ، علاوة على أنه محاضر معروف فى الشئون الإسلامية ، وأول كتاب صدر له كان بعنوان "آيات فى السماوات : رؤية عالم فلك مسلم فى الدين والعلم " نشره سنة ١٩٩٢ ، وحول الموضوع نفسه قدم بحثا فى مؤتمر عُقد فى الفاتيكان سنة ١٩٩٤ تحت رعاية مؤسسة مراصد الفاتيكان الفلكية ، وللدكتور عماد الدين أحمد جهود فكرية فى مجالات الحوار بين الإسلام والغرب .

وهكذا نجد الدكتور عماد الدين رجلا متعدد المواهب متشعب الاهتمامات معنيًا بالشأن الإسلامى العام فى إطاره العالمى المعاصر .

ومن هنا جاء اهتمامه بنشر الجزء الخاص بالإسلام من كتاب السيدة لين ، وهو كتاب يستحق منا كثيرا من العناية والنظر .

ثلاث محاولات كبرى فى التاريخ :

تعتقد المؤلفة بأنه قد ظهر فى التاريخ الإنسانى محاولات لبناء مجتمعات حرة أهمها

وأعظمها شأنا ثلاث محاولات : - المحاولة الأولى قام بها سيدنا إبراهيم عليه السلام ، هذا النبى العظيم الذى نشأ فى مجتمع وثنى كان الناس فيه يؤمنون بأن كل شئ خاضع لسطوة آلهة وثنية ، وأن البشر ليسوا أكثر من دمى فى يد هذه الأوثان ، فجاء سيدنا إبراهيم ليعلن للناس أن هذه الأوثان ما هى إلا أحجار صماء وأوهام لا قيمة لها ولا قدرة بها ، وأنه لا إله إلا الله الواحد الخالق الذى إليه المرجع والمآب .. إن الله هو الحق وأنه هو الذى خلق الكون والإنسان بالحق ، وهو الذى سيحكم على أفعال عباده يوم تقوم الساعة .

وبدلا من خضوع الناس لكائنات أرضية فانية فإن الله قد تفضل عليهم ومنحهم إرادة حرة وأنهم مسئولون عن نتائج أفعالهم الحرة أمام الله وحده .

وتلخص المؤلفة فكرتها عن التاريخ بأنه المجال الذى يدور فيه الصراع بين الفكرة الإبراهيمية عن المسئولية الإنسانية الفردية وبين محاولات السلطات الأرضية إخضاع البشر وجعل نفسها آلهة فوقهم ، ومن ثم اعتبرت رسالة إبراهيم عليه السلام أول محاولة للثورة ضد الوثنية وضد السلطة الجائرة فى آن واحد .

● أما المحاولة الكبرى الثانية فى تحرير الإنسانية كما ترى المؤلفة فتتمثل فى رسالة النبى (محمد ﷺ) ، إنها لا تغفل بل تعى تماما عظمة الرسالتين اللتين جاء بهما موسى وعيسى عليهما السلام ، ولكنها تعتبرها مع ما جاء به أنبياء آخرون تفصيلات وتأكيدا للرسالة الأصلية التى جاء بها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام .

ترى المؤلفة أن رسالة النبى (محمد ﷺ) تميزت بشئ جديد ، ألا وهو أنها أقامت حضارة على أساس من التعاليم الدينية التى تضمنتها هذه الرسالة الخاتمة .. إنها أول حضارة ناجحة فى التاريخ تؤسس على قاعدة من المسئولية المباشرة أمام الله ، فقد استخلف الله الإنسان فى الأرض وأوكل إليه مهمة عمارتها وإقامة العدل والخير فيها .

● ثم تأتى المحاولة الثالثة الكبرى متمثلة فى الثورة الأمريكية ، ولكن المؤلفة لم تتردد فى أن تقرر بصراحة أن هذه الثورة قد أقيمت على قواعد من الثورتين السابقتين الإبراهيمية والمحمدية .

لم أجد فيما كتبت مزلين شرحا أو توضيحا لهذه النقطة التى تربط فيها الثورة الأمريكية بالثورتين الإبراهيمية والمحمدية ، وهل حدث هذا عن وعى وتدبير من جانب فلاسفة الثورة وقادتها أم أنها الفطرة والتوفيق الإلهى ؟.. تحتاج هذه النقطة إلى نظر ومناقشة لا مجال لها فى هذا المقال ، ولذلك نمضى فى متابعة أفكار المؤلفة عن الرسالة المحمدية ونكشف عن مصادر إعجابها بهذه الرسالة .

تقول المؤلفة : عبّر محمد ﷺ عن فكرته بقوة عندما أعلن أنه لا يوجد صنف من البشر متفوق على غيره بل إن الناس جميعا سواسية كأسنان المشط فلا فضل لإمبراطور أو كاهن

على بقية البشر .

لقد أفسد الكهنة دين إبراهيم عليه السلام عندما افترضوا لأنفسهم حقا فى السيطرة على اليهود فجاء المسيح عليه السلام يهاجم الكهنة الذين حرفوا الدين ، ثم جاء من بعده القساوسة الكاثوليك والإغريق ليفسدوا تعاليم المسيح بادعاء السيطرة على المسيحيين بالحق الإلهى ، وفرضوا من أنفسهم أوصياء وسطاء بين الإنسان وبين ربه ، تقول المؤلفة : "من أجل ذلك حرّم محمد ﷺ هذه الوساطة المزعومة بين الله والإنسان" .

يقول الحاقدون والكذابون إن الإسلام انتشر بالسيف ، ولكن المؤلفة ترى أن القوة الحقيقية الكامنة فى الإسلام باعتباره دين الحرية الإنسانية هى السر فى سعة انتشاره المذهل ، وأن هذا الانتشار المثير المذهل لم يستطع المؤرخون الغربيون فهمه ، والسبب عند المؤلفة هو أنهم لم يدركوا حقيقة القوة الكامنة فى الرسالة البسيطة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم .

فى أعوام قليلة أصبح العالم مسلما من المحيط الهندى إلى المحيط الأطلسى ، وأصبح البحر المتوسط بحيرة إسلامية واتخذت البوابة الغربية للعالم الأوروبى اسما عربيا فأطلق عليها "مضيق جبل طارق" .

تلا هذا الفتح الواسع أول وأعظم جهد للطاقة الإنسانية المتحررة ، تبلور - على حد قول المؤلفة - فى إبداع أول حضارة علمية ظهرت على وجه الأرض .

الجامعات الإسلامية والتعليم الأمريكى

تنتقد المؤلفة نظام التعليم الأمريكى فى عبارات محددة وواضحة ، تقول : فى المدارس الأمريكية يتعلم التلاميذ التاريخ الأوروبى بدءاً من الوثنيين اليونانيين والرومان ، مرورا بالتحول الأوروبى من سلطة الامبراطورية إلى سلطة الكنيسة فى العصور الوسطى ، ثم عصر النهضة ، فيتعرفون على الملوك والبارونات ، ثم عصر الإصلاح ، ثم أوروبا الحديثة وارتفاع الطبقة الرأسمالية وثورة الجماهير" .

هذا هو كل تاريخ أوروبا ، ومن هنا نرى أن التعليم الأمريكى يتجاهل تماما دور الحضارة الإسلامية فى تطوير أوروبا وإخراجها من ظلمات العصور الوسطى إلى عصر النهضة والتقدم .. تقول المؤلفة : "فى الوقت الذى كانت أوروبا غارقة فى الظلام والتخلف كان العالم الإسلامى يزدهر ويتألق بحضارة نشطة مبهرة هى أقرب إلى نوع الحضارة التى نشأت فى الولايات المتحدة ، حضارة تمتع بثمراتها كل إنسان حى على غير مثال فى التاريخ البشرى .. عاش فى كنفها ملايين بعد ملايين بعد ملايين من الناس آمنوا إيمانا راسخا بأن جميع البشر قد خلقهم الله أحرارا متساوين ، أناس استطاعوا أن يبدعوا حضارة متميزة وظلوا قائمين على الإبداع فيها ثمانية قرون فكان لهم الفضل فى نشأة الرياضيات والعلوم الحديثة مثل علم الفلك والملاحة والطب والجراحة والزراعة" .

بل تذهب المؤلفة إلى أبعد من هذا فتقول :

"إن العالم مدين لهؤلاء المسلمين باكتشاف القارة الأمريكية" .

كان هؤلاء المبدعون ينتمون إلى جميع الأجناس والألوان والشعوب ، ويمثلون الثقافات والأديان القديمة كلها ، نعم كان الإسلام هو السائد المهيمن ، ولكن هؤلاء المبدعون لم يكونوا جميعا من المسلمين بل كان منهم المسيحى واليهودى وغيرهما ، شملهم مجتمع واحد قائم على التعددية الحقيقية .

كانوا رعايا إمبراطوريات سابقة ، فاختلط على الأوروبيين جمعهم تحت اسم واحد ومن ثم أطلقوا عليهم اسم "سراسين" بدلا من "المسلمين" ، و"سراسين" اسم ينطوى على صفات سلبية كريهة أسبغها الأوروبيون على المسلمين تعبيرا عن الحقد والكراهية ، وهى مشاعر ورثها الأمريكيون من الأوروبيين فلم يروا المسلمين إلا بعيون أوروبية كارهة .. فما الذى حدث فى التاريخ ليجعل من بلاد المسلمين نورا ومن بلاد أوروبا ظلاما وتخلفا ؟

تقول المؤلفة : "لم يكن (محمد ﷺ) يتخلى عن تجارته ويتفرغ لرسالته حتى كانت شرطة السلطة الإمبراطورية قد أتمت إغلاق جميع المدارس العلمية فى بيزنطة فكان على العلماء إما أن يغلقوا أفواههم أو يعتزلوا الدنيا ويلجئوا إلى صوامعهم بعيدا عن الناس والحياة ، وإما أن يخرجوا نهائيا من أرض الإمبراطورية ، وقد آثر عدد كبير من هؤلاء العلماء أن يرحلوا خارج الإمبراطورية البيزنطية.

فى ذلك الوقت كان الشق الغربى من أوروبا حيث عاصمته روما يعج بعصابات الإجرام التى انتشرت فى أنحاء أوروبا ، وكانت القبائل فى الشمال الأوروبى تعيش فى حالة بدائية بربرية ، أما روما نفسها فقد كانت مدينة الأشباح .

اختلفت الصورة قليلا فى الشرق حيث كان الفرس يمارسون حرية أكثر نسبيا ولذلك توجه إليها علماء بيزنطة الفارين من الإرهاب ، فلما انهارت دولة الفرس أمام الزحف الإسلامى وارتفعت راية الحرية فى أنحاء الدولة الوليدة استقر هؤلاء العلماء فى هذا المناخ الحر وبدأوا يترجمون كتبهم وعلومهم إلى اللغة العربية .. وفى غضون قرن واحد أصبح العالم الإسلامى ممتدا من شمال الهند شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا مشتملا على بلاد الفرس والجزيرة العربية وبلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا وإسبانيا وجنوب إيطاليا وجنوب فرنسا ، وأصبح الخليج الفارسى والبحر المتوسط والبحر الأحمر وبحر قزوين كلها بحيرات إسلامية ، فى هذه المساحات الشاسعة كلها سقطت الحواجز التى كانت تعوق حركة الإنسان ، فأصبح الناس يتنقلون فيها بحرية كاملة من مكان إلى مكان آخر بدون تأشيرة ولا جواز سفر ، وهى ظاهرة فريدة من الحرية لا مثيل لها فى التاريخ من قبل ولا من بعد .

تقول المؤلفة تفسيرا لإقبال المسلمين على المعرفة والبحث العلمى :

عندما تتحرر الطاقة الإنسانية من جور السلطة سواء كانت هذه سلطة الملك أو سلطة رجال الدين تتحول هذه الطاقة إلى غزو الطبيعة لتجعل من هذه الأرض بيئة صالحة لحياة الناس ، ومن ثم يأتي دور المعرفة العلمية .. وتؤكد المؤلفة أن هذا لم يكن ليتحقق لولا أن المترجمين والعلماء والكتاب قد وجدوا طريقهم ميسرا ، في مجتمعات نشأت على احترام العلم وعشق المعرفة ، كما وجدوا من السلطة الحاكمة التشجيع والمكافأة ، ولم تطاردهم شرطة الحكام ولا محاكم التفتيش كما كان الحال في أوروبا .

من هنا كان الإبداع وانتشار المكتبات والمدارس في بقاع العالم الإسلامي من طشقند وبغداد إلى غرناطة ، ثم تحولت هذه المدارس إلى جامعات ، فأصبحت جامعات المسلمين هي أولى جامعات العالم في الوجود .

تقول المؤلفة : "عندما زرت القاهرة كانت جامعة الأزهر العريقة قد أتمت ألف سنة من عمرها ، وكان بها في ذلك الوقت أربعين ألف طالب" .. ثم تطرقت إلى أسلوب التعليم وإدارته في هذه الجامعات فتقول : "لم تكن الجامعات الإسلامية في الماضي تمنح درجات علمية ولا تخضع لنظم جامدة ولا قواعد متحجرة ، وإنما كانت مؤسسات للتعلم لا للتعليم ، بمعنى أن الطالب - شابا كان هو أو شيخا - يذهب إليها ليتعلم ما يريد هو أن يتعلمه لا ما يُراد له أن يتعلم من جانب الآخرين ، كان الأمر ببساطة يشبه ما يفعله الأمريكي عندما يذهب إلى البقال ليشترى من الطعام ما يريد لغذائه" .

في هذه المؤسسات التعليمية تجد أناسا يعلمون أو يعتقدون أنهم يعلمون علما ما ، ويريدون أن يعلموه للآخرين الذين هم في حاجة إلى المعرفة والعلوم .. نمت هذه المدارس ولحق بشيوخها علماء ومعلمون آخرون ، وظهر أناس محبون للعمل العام فبنوا مدارس جديدة وأنفقوا عليها من أموالهم الخاصة ، وهذا نموذج واضح وراق للمجتمع المدني الذى تفخر به أمريكا اليوم.

كان المعلمون يدرّسون في فصول مفتوحة (أروقة) وأي شخص كان مسموحا له أن يجلس للاستماع ، وكان طالب العلم يتنقل من شيخ إلى شيخ آخر يستمع من هذا وذاك ، وعندما يستقر اختياره على أستاذ بعينه يجلس إليه ليتناقش معه فيما يريد أن يتعلمه ، ثم ينتظم بعد ذلك في حلقة الدرس ، فإذا انتهى من تحصيل ما يريد من علم أستاذه انتقل إلى أستاذ آخر ليدرس موضوعا آخر ، وعندما يشعر بالامتلاء والثقة يستطيع أن يحصل من أساتذته على إجازة تفيد أنه قد أتقن هذا الفرع أو ذاك من فروع المعرفة وأنه قد أصبح بذلك قادرا ومؤهلا للتدريس لغيره من الطلاب.

تنتقل المؤلفة من هذه الصورة التعليمية المبهرة في بلاد المسلمين في عصور حضارتهم إلى التجربة الأمريكية في هذا المجال فتقول :

"بعد ألف سنة من بناء المسلمين لهذه الجامعات النموذجية الحرة ، وفي قارة لم يرد

على خاطرهم وجودها وهى القارة الأمريكية ، ظهر قائد ثورى هو "توماس جيفرسون" ، كان بدوره لا يعرف إلاّ قليلا وربما لا شئ على الإطلاق أن المسلمين قد استطاعوا قبل ألف عام أن يحققوا حلم حياته عندما أنشأ جامعة فرجينيا .. وقد تمثل حلمه هذا فى نوع جديد من التعليم .

كتب عنه بفخر واعتزاز إلى صديق له فى جامعة هارفارد ، التى كانت تتبع نظاما تعليميا من مخلفات العصور الوسطى فقال : "سوف نتيح لطلابنا اختياراً غير مقيّد للمحاضرات التى يرغبون فى حضورها ، فجامعتنا سوف تعمل على أساس أن يُترك لكل طالب الحرية لكى يأتى ويستمع لأى شئ يعتقد هو أنه يحسّن حالته العقلية " .

وتعلق المؤلفة على ذلك فتقول : "ولم يعلم جيفرسون أن جامعة الأزهر قد اعتمدت منذ ألف سنة نفس هذا المبدأ فى أسلوب تعليمها .. أما فى أوربا حتى عهد قريب فلم يعرفوا هذا النظام من التعليم الذى يسعى فيه العقل لتحصيل ما يريد من المعرفة بالبحث النشط الدءوب ، وإنما اتبعوا نظاما سلبيا تفرض فيه السلطات الحاكمة ما ترى أنه ينبغى على الطلاب أن يتعلموه ، أحبوا ذلك أم كرهوه" .

تنقلنا المؤلفة بعد ذلك إلى نقطة أخرى هامة - طالما تجاهلها المؤرخون الأوربيون عمدا - تتعلق بتأثير الحضارة الإسلامية على النهضة العلمية الحديثة فى أوروبا فتقول :

من أهم المؤسسات التى عنى بها المسلمون المدارس الطبية والمستشفيات العلاجية التى أقاموها فى بلاد الإسلام الممتدة من نهر الجانج إلى المحيط الأطلسى .

ومن المعروف أن أول مستشفى للطب والجراحة فى أوروبا تم إنشاؤها فى إيطاليا بالذات دون غيرها من البلدان الأوروبية ، فكان الإيطاليون أول من أجرى جراحة فى أوروبا ، ويرجع السبب فى معرفتهم بالجراحة أنهم تعلموها فى المدارس الطبية الكبرى عند المسلمين فى الأندلس ، وكانت على مسيرة أسبوع من السفر ، ولم يكن فى إمكان الإيطاليين أو غيرهم أن يتعلموا الجراحة فى أى مكان آخر بأوروبا لأن الجراحة كانت محرمة وتعتبرها الكنيسة فى ذلك الوقت رجساً من عمل الشيطان .

تزيد المؤلفة هذه النقطة إيضاحا حيث تقول : "كان الإيطاليون هم الوسطاء التجاريون بين عالم المسلمين وبين أوروبا ، ومن ثم كانوا أكثر الشعوب الأوروبية احتكاكا بالمسلمين وكانوا أول من أقبل على التعليم فى مدارسهم .. لذلك لم يكن غريبا أن تكون عناصر النهضة من علوم وفنون وفلسفات التى نمت وترعرت فى الأندلس الإسلامية ثم انتقلت على أيدى الإيطاليين وغيرهم إلى أوروبا هى التى فجرت عصر النهضة الأوروبية ، بل إن المنهج التجريبى فى البحث العلمى الحديث كان إبداعا إسلاميا غير مسبوق ، نقله روجر بيكون الإنجليزى الذى تعلمه فى الأندلس وجاء فرانسيس بيكون بعده فقام بتطويره ،

وإلى هذا المنهج التجريبي يرجع الفضل فى التقدم العلمى الهائل فى أوروبا الحديثة" .

أقول : ألم يكن أحرى برجل مثل "برلسكونى" رئيس وزراء إيطاليا أن يقرأ تاريخ بلاده قراءة صحيحة قبل أن يتورط فى إطلاق عبارته الموسفة التى يزدرى فيها بالإسلام وهو يجهل فضله على نهضة بلاده ؟. ولكن ماذا تتوقع من رجل كروى يفضل - فيما سمعنا - أن يضحى بمنصبه السياسى ليتفرغ لناديه الرياضى الذى ملك عليه لبّه ، ولم يترك له فسحة من الوقت لكى يقرأ كتابا مفيدا فى تاريخ الحضارة مثل كتاب روز ويلدر لين ؟!..

الحروب الصليبية

للمؤلفة نظرة متميزة تبرز لنا فيها جوانب غير مألوفة فى كتابات المؤرخين الأوروبيين عن الحروب الصليبية ، فهم قد أهملوا الجوانب الحضارية فى هذه الحروب بينما هى على النقيض من ذلك معنية بهذه الناحية .. ولذلك نراها تصور فى كتابها الصدمة الثقافية التى واجهت جنود الحملات الصليبية عندما اطلعوا على أحوال المسلمين فتيقنوا أن واقعهم مختلف تماما عما سمعوه من افتراءات وأكاذيب شحن بها القساوسة والقادة السياسيون عقولهم فى أوروبا .

تقول المؤلفة :

"بعد خمسة قرون من الحضارة الإسلامية المزدهرة أرسل البابا أوربان الثانى نصف مليون متعصب للهجوم على المسلمين فى فلسطين فيما عرف باسم الحروب الصليبية.

وترى المؤلفة أن من أهم أسباب نشأة هذه الحروب الصراع على السلطة فى الكنيسة الكاثوليكية بأوروبا . فقد حدث أن وُجد اثنان من البابوات يتنافسان على منصب البابوية ، وكان أضعف الاثنين هو البابا أوربان الثانى .. ولكنه كان أكثر دهاء ومكرا وأبعد نظرا ، فقد رأى أن إشعال حرب صليبية مقدسة خارج أوروبا يمكن أن يحقق له ثلاثة أهداف :

- الأول هو طرد غريمه من السلطة الكنسية ليتفرد هو بها .

- والثانى هو القضاء على الحروب المستمرة الدائرة بين المسيحيين وقتلهم بعضهم بعضا .

- الثالث هو التخلص من البارونات المتصارعين فيما بينهم ، لمدّ حدود ممتلكاتهم فى أوروبا ، وذلك بإشغالهم بدلا من ذلك بحرب المسلمين فى الخارج والاستيلاء على أرضهم وثرواتهم ، وبذلك تصبح الكنيسة هى السلطة الوحيدة المهيمنة على بلاد أوروبا .

لقد ارتفعت معدلات القتل بين المسيحيين بسبب أطماع البارونات وجشعهم ، ورأى البابا أن استمرار هذه الحروب سوف يؤدى إلى فناء أعداد كبيرة من المسيحيين يجعل بقاءهم أمرا مشكوكا فيه .. وقد جربت الكنيسة الكاثوليكية على مدى قرن من الزمن إصدار فرمانات لوقف هذه الحروب دون جدوى ، حيث أعلن البابوات أولا "سلام الرب" فلم يعره أحد التفاتا ، ثم أعلنوا "هدنة الرب" وجعلوها إجازة أسبوعية طويلة تستغرق أيام الخميس والجمعة

والسبت والأحد تتوقف فيها الحرب ليتفرغ فيها الناس للزراعة والتجارة وتُرك للبارونات ثلاثة أيام يمارسون فيها حروبهم من أجل توسيع ممتلكاتهم على حساب الآخرين .

غير أن الكنيسة لم تكن تملك من أدوات القوة ما يمكنها من فرض "هدنة الرب" على البارونات .. فلما لم تفلح الكنيسة فى وقف هذه الحروب اخترعت لهم حربا مقدسة ينشغلون بها خارج أوروبا .. ولهذا الغرض جمع البابا أوربان الثانى البارونات فى مجلس "كليرمونت" سنة ١٠٩٠م وخطب فيهم بكلام أشعل حماسهم ودعاهم إلى إنقاذ قبر المسيح من أبناء الشياطين (المسلمين) الذين يهددونه ويدنسونه ، ومنح البابا جميع المحاربين غفرانا كاملا من جميع خطاياهم ما تقدم منها وما تأخر ، ووعدهم بدخول جنة الفردوس فور موت أى واحد منهم يُقتل وهو يحارب كافرا من المسلمين ، هذا علاوة على ثروات الشرق من الذهب والتوابل والحرير وغيرها من الثروات التى يستحوذ عليها الكفار المسلمون ويحرمون أوروبا منها .

تقول المؤلفة : "وهكذا خرج البارونات طمعا وجشعا ، وخرج الجنود هربا من جحيم أوروبا وأملا فى عالم الملكوت الذى وعدهم به البابا وكان شعار أوروبا كلها هو تحرير الأرض المقدسة وإنقاذ قبر المسيح" .

من الطريف حقا أن الصورة على الجانب الآخر كانت على النقيض تماما من مزاعم البابا أوروبان ، وفى هذا تقول المؤلفة :

"كان المسلمون على مدى خمسمائة عام يقومون بحراسة قبر المسيح ، وكانت القدس كلها عندهم مقدسة .. وكانوا يحرسون كنيسة القيامة ليلا ونهارا ليمنعوا الطوائف المسيحية من قتل بعضهم البعض عند قبر المسيح .

كان الحراس المسلمون يتغيبون يوما واحد فى السنة هو يوم "الإيستر" وفى غيابهم يُضاء قبر المسيح الذى قام فيه بالشموع فى الظلام ، وهنا تبدأ الطوائف المسيحية تتقاتل فيما بينها فإذا عاد الحراس المسلمون فى اليوم التالى إلى مواقعهم يشرعون فى حمل جثث القتلى الذين قد يصل عددهم أحيانا إلى بضعة مئات ولا يقل فى كل الأحيان عن اثنتى عشرة جثة .."

عرف الصليبيون هذه الحقائق بعد أن جاءوا إلى القدس واستقروا فيها ، وبعد أن أسالوا دماء المسلمين أنهارا فى شوارع القدس .. وتعجب الصليبيون عندما وجدوا كثيرا من المسيحيين لايزالون أحياء بل يعيشون فى سلام بين المسلمين الكفار ، تعجبوا كيف يبقى المسيحيون أحياءً .. كل هذه القرون وكأنهم جزء لا يتجزأ من عالم المسلمين .. كيف تركهم المسلمون ولم يقضوا عليهم رغم اختلافهم فى الدين .

إن هذا لا يمكن أن يحدث فى أوروبا فالأقلية الدينية إما أن تعتنق دين الأغلبية وإما يتم تصفيتها جسديا والقضاء عليها .. عرف الصليبيون أكثر من هذا : أنه لا يعيش فى كنف المسلمين فقط الطوائف المسيحية

بسلام ، ولكن يعيش أصحاب الديانات الأخرى وطوائف أخرى من المسلمين لا يختلفون مع المسلمين فى العقيدة فحسب ، بل فى الأصول العرقية أيضا ، وهو أمر لا يمكن حدوثه في أوروبا .. أما فى بلاد المسلمين فقد وجدوا الألبان والأرمن واليونانيين والأقباط والمارونيين والدروز واليهود والسيخ والهندوس والزيدين وأديان أخرى كثيرة تعيش معا فى سلام وأمن جنبا إلى جنب مع المسلمين فى أرض الإسلام ، وتعلق المؤلفة على ذلك قائلة:

"إنها أوروبا هى التى يُقتل فيها المجدفون المختلفون فى الدين إلى آخر طفل رضيع .. أما فى بلاد المسلمين فإن الناس أحرار فى اختيار عقيدتهم ، لا سلطان لأحد عليهم فشعار المسلمين هو ﴿لا إكراه فى الدين﴾".

تقول المؤلفة : "كان هذا الوضع الحضارى الفريد هو مصدر الصدمة الثقافية التى أذهلت الصليبيين الذين جاءوا من بلادهم بالعنف والغضب والشراسة البدائية ، وقد امتلأت عقولهم بأكاذيب عن ذئاب همجية تفترس المسيحيين افتراسا .. فإذا بهم يجدون المسيحيين ينعمون بسلام وأمن ورخاء يستحيل أن يجدوه في أوروبا نفسها فى ذلك الوقت ، لذلك لم يلبث الصليبيون بعد أن استقروا فى المجتمعات المسلمة أن يندمجوا فى حضارة المسلمين ، وبدءوا يعيشون ويسلكون مثل المسلمين فيأكلون طعامهم ويرتدون ملابسهم ، ونشأ أبناؤهم وقد تمثلوا كثيرا من روح التسامح الإسلامى ، فلما عادوا إلى بلادهم كانوا نشازا فى مجتمعات متعصبة لا تسمح بالتعددية الدينية ولا تعرف التسامح مع الآخرين .

بعد ما يقرب من ألف سنة على بداية الحروب الصليبية القديمة .. تُرى هل استدار الزمن مرة أخرى وعاد الغرب يشن على الإسلام والمسلمين حربا صليبية جديدة .. فى هذه المرة بدعوى القضاء على الإرهاب !؟..

لقد باتت الولايات المتحدة تستخدم نفس العبارات القديمة فى خطابها السياسى : حرب صليبية .. محور الشر .. الشياطين .. الفاشية الإسلامية ، وتعود الأرض المقدسة فى فلسطين مركزا لهذه الحرب .. حيث تشتعل نارا .. ويطلق على المقاومة الوطنية المشروعة فيها إرهابا ، ويسمى قتل أهلها والتنكيل بهم دفاعا مشروعا تقوم به إسرائيل .

أليست هذه الأكاذيب هى نفسها الأكاذيب التى أطلقها الصليبيون الأوائل على المسلمين تبريرا لعدوانهم واغتصابهم لأرضهم .. حتى جاءت واحدة من بناتهم هى روز ويلدر لين لتدحض هذه الأكاذيب فى كتاب خصصته للدفاع عن الحرية والحقوق الإنسانية ، وأثبتت فيه بما لا يدع مجالا للشك أن الإسلام والمسلمين كانوا أول من دعا إلى الحرية واحترم حقوق الإنسان .. وأن المسلمين استطاعوا أن يقيموا حضارة طبقوا فيها عمليا هذه المبادئ الإنسانية والأخلاقية الرفيعة .

محمد يوسف عدس
مستشار سابق بهيئة اليونسكو - لندن

د . نجيب الكيلانى

عمر يظهر فى القدس

١٠

قدمت "راشيل" إلى المستشفى محاطة بكوكبة من الحرس ، تضع على عينيها منظاراً أسود ، وتمسك بيمينها منديلا أبيض ، وبدا الاحمرار على أرنبة أنفها ، وكانت آلات التصوير وأضواؤها تلاحقها ، وتدهمها من كل جانب ، وعدسة التليفزيون تئز أزيزاً مسموعا وتحت إبطها الأيسر حملت عليه علبة كبيرة من الورق المقوى مرسوم عليها صورة لنجمة من نجمات السينما اللامعات ، كانت أوامر الشرطة - كما بدا لى - أن تيسر لها مهمتها وتؤدى مطالبها دون مناقشة ، وفى غرفة الخليفة لاحظ إضافات كثيرة ، بعض اللمبات الكهربائية الجديدة ، ومذياع وتليفزيون ، وقبل أن تدخل "راشيل" مالت على أذن الخليفة قائلا :

- احذر يا أمير المؤمنين !!..

- ماذا تعنى ؟..

- أية حركة تصدر عنك قد يراها الناس فى الخارج ، وأية كلمة قد يسمعونها ..

قلب يديه قائلا :

- الحجرة مغلقة ، ونوافذها محكمة ، وجدرانها سميكة ..

- أخشى أن تكون بالحجرة عدسات خفية لنقل الصورة ، وكذلك مكبرات صوت مخبأة هنا أيضا ..

تمتم الخليفة :

- هل هم جن سليمان ؟؟..

- أحدث المخترعات الأمريكية تصل إلى إسرائيل

وأخذت أشرح ببساطة كيف تعمل آلات التسجيل الصوتي ، وكيف تلتقط الصور بطريقة سرية ، والخليفة يستمع إليّ في اهتمام وتمتم ضائق النفس :

- أشعر أن عالمكم سجن كبير

ثم استطرد :

- على أية حال ، ليس لدي ما أخاف من إعلانه ، بل على النقيض مما يتصورون ، إنني أريد أن يسمعني أكبر عدد من الناس ، لكن لاشك أن استرقاق السمع جريمة لا تغتفر ..

كان أمير المؤمنين ممددا في سريره ، شاحب الوجه ، يشع من نظراته وملامحه نور غريب ، يوحي بالثقة والأمن واليقين ، وكان يردد من آن لآخر بعض الأدعية الواردة عن رسول الله ، ويتمتم ببضع آيات من القرآن الكريم ، ولم تكن تفوته الصلاة ، فقد كان يصلي وهو راقد وحينما دخلت "راشيل" ، وقد خلعت عن عينيها النظارة السوداء ، وضعت العلبة على منضدة صغيرة ، ثم ألقت بنفسها لدى قدمي الخليفة ، وأخذت تشهق باكية ، أغمض عمر عينيه برهة ، ثم قال بحزم :

- تستطعين أن تجلسي بهدوء ، وأن تسدلي الشال على وجهك .

وقالت في أسى :

- لشد ما تألمت لما أصابك .

- هذا قضاء الله يا فتاة .. لعل في ذلك خيراً كبيراً .

قالت :

- أثار مرضك موجة عارمة من القلق بين الناس

رد في دهشة :

- لماذا ؟.. آلاف الناس يمرضون .. بل ويموتون كل يوم .. والمستشفى غاص بالمرضى من كل الألوان ، فلم القلق من أجلي أنا بالذات ؟؟..

- لست بشرا عاديا

عتب قائلا :

- أنا عبد من عبيد الله ، أكاد لا أتميز عنهم بشيء .

- ليس للناس حديث سواك .

هز رأسه مستغربا :

- بدعة جديدة !!..

وتنهد في حزن :

- .. ولقد قال حبيبي رسول الله حينما رأى الأعرابي ينتفض أمامه من الخوف والروع : هون عليك .. فأنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة ..

هزتها الكلمات فأردفت :

- تواضعك يسمو بك إلى الأعالي ..

- أنا أكره النفاق ، وتزعجني تلك الأحاديث ..

شعرت بما يشبه الخدر يسري في جسدها ، ودار رأسها بموجة عارمة من الرغبة ، ومالت

نحوه هامسة :

- أتسمح لى أن أقبلك ؟..

دفعها فى غلظة ، وقد تغير لون وجهه ، لكنها ازدادت منه اقترابا ، ولم تفق إلا على صفعة قوية رنت على وجهها :

- غادرى الحجرة على الفور .

- ارحمنى ..

- الرحمة ليست استجابة للأهواء الغاشمة .. لقد تلبستك الشياطين .

وانهمرت دموعها من جديد ، كانت تشعر بجرح بالغ ، وخيبة أمل كبرى :

- أنت تعلم أنى أحبك ، وأنى طلقت كل شئ من أجلك .

- تتصرفين بعقل صبية طائشة .. لم يزل بيننا أمد بعيد ..

- بل أنت أقرب إلى من أى إنسان فى الوجود .

- أنانية نجسة ..

ثم استطرد :

- تترنمين بالحرية ، وحينما أمارس حقى فى الرفض تغضبين .. يجب أن تفهمى لآخر مرة .. المرأة والرجل لا يلتقيان إلا فى ظل نظام سام شرعه الله ، وكل ما يحدث بين رجل وامرأة خارج هذا النطاق فهو عصيان وضلال .. قومى وإلا قذفت بك فى الشارع ..

مدت يديها ضارعة :

- ليتك تفعل .. اضربنى ثانية ..

- هذا جنون ..

- عقابك نعيم أشعر فى رحابه اننى أتعبد بالآلام التى تصبها فوقى يا أعظم من رأيت .

التفت الخليفة إلىّ قائلا :

- من أين أتت بهذه الكلمات الغريبة الجريئة ؟..

فاقتربت منها ثائرا وهتفت :

- تريدين مادة صحفية جديدة للتشهير بالرجل .. أليس كذلك ؟؟..

- أنت تظلمنى يا رفيق ..

إننى أصفعك بالحقيقة المرة ، برغم الحراب التى تحميك ..

قالت وهى تمد يديها فى توسل :

- لم أفعل شيئا من هذا ، "إيلى" الملعون هو الذى شهّر بنا غيرة وحسداً .. أنت تعرف إيلى أيها الرفيق ..

تساءل عمر عما أعنى ، فأخبرته بما كتبته الصحف عنه وعنها ، ولم يخف عليه أن المقصود من ذلك هو تشويه سمعته ، والنيل من استقامته ، حتى ينصرف الناس عنه ، فيتبرأ منه العلماء ، ولا تجرى العامة وراءه أو تثق به ، فلوح عمر بيده مغيظا وقال :

- هذه جريمة يعاقب عليها الشرع ، كيف يرمون فتاة مثلها بهذا الادعاء ؟.. وكيف يتهموننى بما لم أرتكبه ؟.. إن بين سطور كلماتهم تلميحا إلى فعل شائن رهيب لا يمكن أن يصدر عنى ..

أردفت متحديا :

- هى المسئولة يا أمير المؤمنين ..

فنظر إليها عاتبا :

- أتخونين العهد ، وتشاركين فى صنع الأكاذيب ؟..

- بل فعلها حاقد عليّ وعليك ..

صمت عمر برهة ، وبدا على وجهه التفكير والحيرة :

- لعلها مظلومة يا فتى ..

- إنها تلعب بنا وتخدعنا يا أمير المؤمنين

نظر الخليفة إليها وقال وهو يكظم انفعاله :

- ديننا يا فتاة يدعو إلى التبين والعدل عند إصدار الحكم ، أنا لا أملك الآن سلطة تفرض عقاب الله ، لكنى أمتلك شيئا آخر ، وهو أن أرفض السير فى موكب الخداع ..

أخذت تبكى وتنتفض ، ومن بين دموعها تقسم بأنها بريئة ثم تؤكد أنها لن تستطيع أن تعيش بعد اليوم بعيدة عن الخليفة ، هى ستسير وراءه أينما تذهب ، وتتعلق بأذيال ثوبه ، برغم كل ما يحدث ، وإنها عند اليأس لن تبقى فى الحياة لحظة واحدة فستترك الدنيا بكل ما فيها ، وتجأر إلى الله شاكية ، ويبدو أن قلب الخليفة قد رق لها ، وهذا ما زاد من حنقى .

قال الخليفة :

- لماذا تحبيننى ؟؟..

همست فى شرود :

- كثيرا ما لا يتبين الإنسان السبب الكامن وراء الحب .

صاح محتدا :

- هذا عمى ..

قالت فى نبرة صدق :

- أنت تختلف عن الآخرين ..

- شئ طريف ؟؟.. هه !!..

- لقد كذبوا .. أنا لا أتسلى بحادث مثير .. صدقنى ..

- ماذا إذن ؟؟..

قالت :

- أنت رجل صادق مؤمن .. لا تهاب أحداً.

- إلا الله ..

- أجل .. جئت منزهة عن كل غاية دنيوية منحطة .

قال الخليفة وهو ينظر إلى سقف الحجرة المضئ الناصع البياض :

- أنت تقتربين .. قلبى لا يكذب .. الذين يعشقون الجمال الظاهرى وحده سطحيون ، والذين يعشقون القوة المادية ، ويستسلمون لها ضعفاء .. والذين يتعبدون فى محراب اللذة هم مشركون ، أو عبدة للأوثان .

عندما تعشقين الحق والخير والجمال كوجه من أوجه الكمال الإلهى فى خلقه فستكونين مع الرجل الصاعد ..

ثم التفت إليها قائلا :

- أتؤمنين بالله ؟؟..

- أؤمن به الآن ؟؟..

- لماذا ؟؟..

- لأنى رأيت إيمانك ينعكس عليك بالحق والخير والجمال ..

- أتؤمنين بالأسوة العظمى .. محمد ؟..
- أجل .. لأنك تؤمن به ..
صاح فى انفعال :
- أنا .. من أكـون ؟؟.. قـولى آمنت به ، لأن دعوته حق ..
طأطأت رأسها فى استسلام وردت :
- آمنت به لأن دعوته حق ..
- ولن يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ..
- آمنت ..

وعاد إلى النظر فى السقف الأبيض المضئ :
- وللإيمان يا فتـاة تكاليف باهظة .. أقلها الموت فى سـبـيل الله .. يجب أن تخلصى إيمانك من الغرض الدنيوى والعرض الزائل .. والخلاص من أهواء النفس ومجاهدتها هو الجهاد الأكبر كما قال حبيبى رسول الله .. والحب هنا له صورة جديدة .. المؤمن إن أحب المرء لا يحبه إلا الله ، وإن كرهه لا يكرهه إلا لله .. هذا شئ هام من صفات المؤمن ..

تمتمت خافضة رأسها :
- أحببتك لله وفى الله ..
- عندئذ تستطعين أن تعيشى فى جو من السعادة لم يذقه قلبك من قبل ، ويصبح الحب الطاهر عبادة ، وتتحول اللذة البهيمية إلى علاقة إنسانية نظيفة ، مليئة بكل المتع ، واسمها الزواج .. وتمسى العباءة التى تلبسينها ستراً وكرامة ، وترين المنحرفين العراة قطيعا من الحيوانات الضالة ، أبعد ما يكونون عن نوع الإنسان الذى كرمه الله .. قولى معى يا راشيل أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ..

هكذا تكلم عمر ، كنت لا أستطيع أن أصدق ما تقع عليه عيناى ، أو تسمعه أذناى وراشيل ترتل الشهادتين فى صدق لاشك فيه ، ورأيت الرضى والفرح يكللان وجه أمير المؤمنين غير أنى تألمت فى اليوم التالى أشد الألم ، فقد التقطت الصحف نبأ إسلام راشيل وأبرزته فى صدر صفحاتها ، وكتب أحد المعلقين الصحفيين قائلا :

- إن هذا الرجل الدعىّ يحمل بذور الفساد والتمرد لأجيالنا التى ولدت فى غمار النار والدم والعناء الطويل ، هو فتنة خطيرة يجب استئصالها قبل أن يفلت الزمام ، واقترح على الحاكم العسكرى العام طرده من القدس فور شفائه ، لم يعد يخالجنى أدنى شك فى أن الرجل دسيسة هدفها تحطيم دولتنا الفتية من الداخل ، بعد أن عجز الأعداء عن تحطيمها من الخارج .. لسوف يؤلب علينا المسلمين ، ويفتن غير المسلمين من المسيحيين واليهود .. إن له قدرة خارقة فى التأثير على ضحاياه .. فهو يستغل الفراغ الروحى ، ويملأ عقول الناشئة بالخرافات الجذابة ..

وأصدر الحاخام قراراً بطرد راشيل من جنة إسرائيل الروحية ، وأوصى بحرمانها من بعض الحقوق المدنية ..

لكن أحد علماء المسلمين الرسميين ضحك

ملء شدقيه وقال :

- إنك لا تهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء .. أنا عشت طول حياتى مؤلفا للكتب ، وخطيبا بارعا ، وملقيا للمحاضرات فلم يسلم على يدىّ فرد واحد .. لله فى ذلك حكم ..

وتسابقت المدارس والجامعات والأندية الثقافية والرياضية والمكتبات العامة ، وبعض الأحزاب الصغيرة فى توجيه الدعوة إلى الخليفة لعقد ندوات عامة يشترك فيها كبار المفكرين والجمهور أيضا ، يُدار فيها النقاش عن مختلف القضايا والموضوعات الدينية خاصة ، والفكرية عامة .. وهناك وراء الكواليس حيث التكتم والصمت والتحركات الخفية .. كانت راشيل تعانى من أمر عاجل ملحّ ، فقد استدعاها مدير المخابرات إلى مكتبه فى مساء اليوم التالى ، وناقش معها التسجيل الصوتى لكل ما دار فى حجرة الخليفة :

- وأخيرا إما أن تكونى ممثلة بارعة ، أتقنت دورها على الوجه الأكمل ، وإما أن يكون الرجل قد خدعك ، وأقنعك بترهاته .. أردت اصطياده فاصطادك .. أخذت راشيل تقهقه فى توتر وتقول :

- حتى أنت تراودك الشكوك ؟؟.. إنه لم يلمس جسدى حتى الآن إلا بعصاه وصفعاته .. بينى وبينه آلاف الأميال .. لابد أن يقصر الطريق ، وتزول العقبات حتى نبلغ مأربنا .. وذلك عن طريق الثقة التى أنالها لديه .. إننى أعرف كيف أؤدى واجبى من أجل إسرائيل الكبرى .. وراشيل مستحيل أن تخون كفاح الأجيال الطويل من أجل صهيون .. أمير المؤمنين يظن أنه امتلكنى .. أنا التى ستمتلكه .. عندئذ تتعرى الأكذوبة الكبرى ، ويسفر وجه الحقيقة ..

كان وجهها ينطلق بشراً وهى ترفع يدها وتهتف :

- عاشت إسرائيل الكبرى .. الموت للمسلمين .

قال مدير المخابرات ، وقد بانت مسحة من الاطمئنان على وجهه :

- ما رأيك فى الرجل ؟..

- شخصية قوية واعية جذابة ..

- أعنى ماذا تظنين وراءه ؟..

- آه .. لم أتبين هدفه الحقيقى بعد .. يزعم أنه يدعو إلى الله وحده ، ويريد أن يعود الناس إلى الإسلام ومبادئه من جديد ، ففيه السعادة والخلاص .. وأنا أرى أن البطش به حماقة ، لأنه لن يفض الغموض المحيط بالرجل .. ولا خوف من دعوته فستذروها الرياح كما حدث لكثير من الدعوات قبل .. علينا بالصبر .. ذلك هو الطريق الوحيد لكشف مخططه الغامض ..

ثم ابتلعت ريقها قائلة :

- لكن يجب أن تبعدوا "إيلى" عن طريقي ، وإلا أتلف كل شئ ، إ الغيرة قد تدفعه إلى

ارتكاب حماقة ، فنخسر الكثير ..

همس مدير المخابرات :

- اطمئنى من هذه الناحية ، نحن نراقب كل شئ ، لو رأينا من الضرورى اعتقال "إيلى" لاعتقلناه على الفور .. لن نسمح لأى فرد مهما كانت مكانته أن يعوق مسيرتنا ..

لم تكن "راشيل" تجد راحتها حتى فى بيتها ، أجراس التليفون تدق باستمرار ، المخبرون الصحفيون يحاصرونها ويلاحقونها أينما ذهبت ، نظرات المارة الذين يعرفونها تربك تحركاتها ، وتثقل على قلبها ، الباعة يعطونها ما تريد دون مقابل ، شركات الدعاية ترسل إليها بالكثير من الهدايا ، وبعضهم يريد أن يستغل صورتها فى الإعلانات مقابل مكافأة سخية ، وقالت راشيل لأبيها شاكية :

- هؤلاء الصحفيون شئ رهيب مقيت ..

غمز الأب بعينه اليسرى قائلا :

- تستطعين أن تستغلى الموقف ..

- كيف ؟؟..

- لا تعطيهم شيئا إلا بثمنه ..

- لكنى لا أريد ..

قال غاضبا :

- سيكتبون من محض خيالهم ..

وتدخلت أمها قائلة :

- أرى أن تكتب راشيل مذكراتها ، وتبيعها لكبريات الصحف وبذلك تجنى من ورائها ربحا كثيرا ..

قالت راشيل :

- لكن إيلى سيغضب ..

صاح أبوها .. فليذهب إلى الجحيم ..

- ألم توافق على زواجى منه ، وتلح فى ذلك ..

قال مستنكرا .. "أنا ؟؟.. لا أذكر ذلك" .

التفتت راشيل إلى أمها مستشهدة ، فقالت الأم :

- لم يعد "إيلى" مناسبا ..يستطيع أن يجد عشرات غيرك ..

- ومستقبله العظيم ؟؟.. ونفوذه الكبير؟؟.. وجماله ؟؟..

هل نسيت أنت الأخرى يا أماه ..

زمجرت أمها قائلة :

- باختصار ، لم يعد "إيلى" جديراً بك .. فكرى الآن فى موضوع كتابة المذكرات ، ستدر علينا دخلا كبيرا عاجلا .. كونى عاقلة وانتهزى الفرصة التى قد لا تتكرر ..

قالت راشيل بحزم :

- أنا لا أفكر فى شئ من هذا القبيل الآن.

أمسك أبوها بذراعها ولواها فى عنف قائلا:

- أتريدين ضياع الفرصة الذهبية يا حمقاء؟

وسددت أمها إليها نظرات غاضبة قاسية ، وفكرت راشيل ؟

ماذا تقول ؟؟.. المخابرات يريدون امتصاصها ، وعائلتها تهدف إلى استغلالها ، وإيلى يشتهى جسدها كحيوان مفترس ، والصحافة تؤرق عليها حياتها بغية إمتاع

الجماهير ، ورفع نسخ التوزيع ، العالم أنانى جشع يبدو كسوق كبرى للعبيد .. بورصة للمضاربات .. إنه لشئ مؤلم ..

همست فى دهاء :

- انتظرا .. لسوف أتدبر الأمر بطريقة تسركما ..

قال أبوها :

- قبل أن تفوت الفرصة .. إن شقتنا حقيرة لا تليق .. والشارع الذى تعيش فيه ضيق مزدحم باليهود الشرقيين الأقذار .. إننى أحلم بحى راق .. وبيت فخم .. تحوطه حديقة وأزهار .. ورصيد ضخم بالبنك .. ومشروعات تجارية كبرى ..

ونظرت أمها عبر النافذة المفتوحة ، وقد رفعت عنها الستائر الحائلة اللون وقالت :

- عندما تكتبين مذكراتك يا راشيل ، فستتلقفها الصحف ، ولسوف تلهث وراءك دور النشر ، ومؤسسات السينما والمسرح .. ودور الترجمة إلى اللغات الأجنبية .. سيرتفع اسمك إلى عنان السماء ، وستكونين أشهر امرأة فى أيامنا هذه ..

ثم توقفت أمها عن الحديث فجأة وقالت :

- ألا تستطعين الزواج منه ، ولو لمدة قصيرة ؟؟.. لو أمكن ذلك لبلغت شأواً عظيما ، ولدرجنا على بساط من ذهب ..

وهز الأب رأسه قائلا :

- هذه الخرافة يجب أن تعيش .. ذلك الرجل كنز ثمين ..

قالت راشيل وهى شاردة :

الكارثة أنه لا يشعر بوجودى كامرأة ..

قالت الأم :

- صبرا يا ابنتى ، لا تتلهفى عليه أكثر من اللازم ، ازهدى فيه يأت راكعا متوسلا ، ويلح فى طلبك ..

قالت راشيل :

- أو تظنين أن هذا الأسلوب قد يفلح معه ؟

- بالتأكيد .. إنه رجل ..

- أعرف .. لكنه نوع فريد ..

- جربى يا فتاتى .. لن تخسرى شيئا ..

همست راشيل فى شرود :

- ألم تجربى الوقوف لدى أقدام جبل عال هامته تعانق السحب البعيدة ؟؟.. ألم تفكرى فى صعود ذلك الجبل ؟؟..

إنه شئ فوق التصور والخيال !!..

قال أبوها ساخراً :

- إن طائرة "هليكوبتر" تنقلك إلى القمة فى لحظات لكنك لا تبحثين عن وسيلة ..

بادلته راشيل سخرية بسخرية وقالت :

- إن كل المقاييس العسكرية والتكنولوجية هنا تفشل تماما .. عمر لن أصل إليه بهذا الأسلوب ، ولو امتطيت متن صاروخ ذرى .. ذاك عالم آخر لا تعرفون طبيعته ..

وتثاءبت وهى جالسة على المقعد ، ثم راحت فى سبات عميق على الرغم من أن أمها وأباها مازالا يثرثران ..

د . نجيب الكيلانى

المجاهد خطاب في ذمة الله

سجلت المقاومة الشيشانية على طول تاريخها ملحمة رائعة من ملاحم الجهاد الإسلامى ، ويعد النموذج الشيشانى نموذجا للفداء والاستشهاد والبطولة والرجولة ، فقد استطاعت هذه الأمة الصغيرة أن تصمد أمام جحافل الجيش الروسى المدجج بالسلاح ، وأن تستعصى على محاولات القضاء عليها بكل السبل ، ورغم الظروف الدولية الصعبة حاليا خاصة على مستوى الدعم الأمريكى للقمع الروسى ضد الشعب الشيشانى مقابل مساعدة الروس لهم فى غزو أفغانستان والقضاء على تنظيم القاعدة وطالبان ، وكذلك غياب دعم منظمة القاعدة للنضال الشيشانى بسبب ظروف الغزو الأمريكى ، وتقاعس الدول الإسلامية عن مساندة قضية الشيشان لأسباب العجز والخوف والتراجع التى يعانى منها العالم الإسلامى ، برغم كل هذه الظروف ظلت المقاومة الشيشانية تعمل واستطاعت مؤخرا أن تثبت وجودها من خلال عدد من الأعمال العسكرية المتميزة ضد القوات الروسية ، وكان القائد الشهيد خطاب من أهم قادة المقاومة الشيشانية ، ورمزا فذا من رموزها اختار أن يقاتل الروس فى الشيشان دفاعا عن الإسلام وانتصارا لدين الله ولدعوة الحق ، واستطاع أن يحقق العديد من الإنجازات العسكرية وفى آخر عملية له كانت الهجوم على قافلة من الروس الكفرة تتكون من مائة سيارة مصفحة وقتل أكثر من ثلاثمائة جندى روسى بعد أن وقعوا فى الكمين .. مما اعتبره الروس من أخطر أعدائهم فدبروا له المؤامرات حتى استطاعوا القضاء عليه فى النهاية وقتله مسموما ، فصعدت روحه الطاهرة إلى بارئها ، نحسبه شهيدا ولا نزكى على الله أحدا ﴿وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾ .

آخر الكلام

القضية

زعموا أن لنا
أرضا ، وعرضا ، وحمية
وسيوفا لا تباريها المنية
زعموا
فالأرض زالت
ودماء الغرض سالت
وولاة الأمر لا أمر لهم
خارج نص المسرحية
كلهم راع ومسئول
عن التفريط فى حق الرعية
وعن الإرهاب والكبتِ
وتقطيع أيادى الناس
من أجل القضية !
والقضية
ساعة الميلاد ، كانت بندقية
ثم صارت وتداً فى خيمة
أغرقه "الزيت"
فأضحى غصن زيتون
وأمسى مزهرية
تنعش المائدة الخضراء
صبحا وعشية .. فى القصور الملكية
ويقولون لى : اضحك !
حسنا
ها إننى أضحك من شر البلية !

أحمد مطر